شرح رسالة
آداب المعلِّمين والمتعلِّمين

للعلَّامة عبد الرحمن بن ناصر آل سعدي رحمه الله (ت: ١٣٧٦هـ)

.

قام بشرحها :

أبو عبد الرحمن

أيمن إسماعيل

ربِ اغفر له، ولوالديه، ولسائر المسلمين .

. ..

..

. ..

المقدِّمة :

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} [آل عمران:١٠٢].

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا } **[النساء:١]**

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}
[الأحزاب:٧٠ - ٧١]

أما بعد ، فإنَّ أصدق الحديث كتاب الله تعالى، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه، وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثه بدعة، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار...

فإنَّ طَلَبَ العِلْمِ وَالتَّفَقُّهُ في الدِّينِ فَضِيلَةٌ عَظِيمَةٌ ومنّةٌ جليلة ؛ فإنَّ اللهَ تَبَارَكَ وتعالى قد رَفَعَ قَدْرَ العُلَمَاءِ، وأَنْزَلَهُمْ أَعْظَمَ مَنْزِلَةٍ، حِينَ اسْتَشْهَدَهُمْ عَلَى أَعْظَمِ شَهَادَةٍ بَعْدَ أَنْ شَهِدَ تعالى بهَا، وَأَشْهَدَ عليها مَلَائِكَتَهُ، فَقَالَ تعالى: (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالمَلَائِكَةُ وَأُولُو العِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ)(آل عمران:١٨).

وَأَخْبَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ العُلَمَاءَ هُمُ الذينَ يقدِرون الله تعالى حق قدره ، ويَخْشَوْنَ اللهَ تعالى حَقَ خَشْيَتِهِ، فَقَالَ تعالى (إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ)(فاطر:٢٨).
بَلْ لَمْ يَأْمُرِ اللهُ تعالى سَيِّدَنَا مُحَمَّدَاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ بِالازْدِيَادِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا مِنَ العِلْمِ، فَقَالَ تعالى على لسان نبيِّه صلى الله عليه وسلم (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمَاً)(طه:١١٤)
ولا شك أنَّ طلب العلم من الأهمية والفضيلة بمكان ؛فقد أبان الله - تعالى - فضيلة العلم وأهله في كتابه في مواطن كثيرة ، بل أنزله تعالى منزلة الجهاد ، الذي هو ذروة سنام الإسلام ؛ فقال تعالى: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ

فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) [التوبة: ١٢٢].

فقد دلت الآية على أنَّ طلب العلم لا يقلُّ أهميةً عن طلب الجهاد ؛ ذلك أنَّ الله -تعالى- لمَّا استنهض النفيرَ للجهاد أمرهم بالإبقاء على طائفة منهم لملازمة مجالس العلم ، ليكونوا أوعية للعلم الشرعي فينتفع بهم أقوامهم إذا رجعوا إليهم ، وبذلك تبقى الأمة محفوظة بمجاهديها الذين يحفظون لها بيضتها من مكر أهل الشرك ، وبطلابها الذين يحفظون لها حياض شرعها ممن يلغون فيه ؛ ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وبذلك يتحقق موعود الله تعالى (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ)(الحجر:٩)

وكذلك فإنَّ السُّنة قد أبانت فضائل طلب العلم :

ففي الصحيحين عن مُعَاوِيَةَ بنِ أَبِى سُفْيَانَ - رضي الله عنهما- قَالَ : سَمِعْتُ النَّبيَّ – صلى الله عليه وسلم – يَقُولُ : « مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ ».[1]

قال أبو العباس ابن تيمية:

وكل من أراد الله تعالى به خيراً لا بد أن يفقهه في الدِين، فمن لم يفقهه في الدين لم يرد الله به خيراً، والدِين: ما بعث اللهُ تعالى به رسولَه صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يجب على المرء التصديق به، والعمل به.[2]

نقول وبالله تعالى نستعين:

فقد شرعتُ في هذه الرسالة في جمع وشرح جملة من القواعد الحديثية التي قد يحتاج إليها طالب علم المصطلح ، مع إعطاء جملة من التطبيقات الحديثية المهمة لتقرّب معنى كل قاعدة من القواعد المذكورة.

ولا بد بين يدي هذه الورقات أن أبوء بأني ما اجترأتُ على الكتابة في هذا الفن العظيم –مع كوني بضاعتي فيه مزجاة- إلَّا رغبة مني في التمرُّن على النظر في أروقة الحديث وعلومه ؛ عسى أن أحظى بشرف الانتساب إلى أهله، فإن أصبتُ فمن الله تعالى ، وإن أخطأتُ فأنا أضع خطئي بين يدي شيوخي وأساتذتي ليعلِّموني ويرشدوني.

ولا خفاء أنَّه من المَدَارك المهمة في باب التصنيف ، عَزْوَ الفوائد والمسائل والنكت إلى أربابها ؛ تبرّؤاً من انتحال ما ليس له، وترفّعاً عن أن يكون كلابس ثوبي زور ،

[1] أخرجه البخاري(٧١)ومسلم(١٠٣٧)
[2] انظر :مجموع الفتاوى(٨٠/٢٨)

لهذا ترى جميع مسائل هذا الكتاب معزوّة إلى أصحابها بحروفها ، وهذه قاعدتنا فيما جمعناه ونجمعه.[٣]

قال أبو عبيد:

"مِن شكْرِ العلم أنْ تستفيد الشيء فإذا ذُكِرَ، قلت: خفي علي كذا وكذا ولم يكن لي به علم حتى أفادني فلانٌ فيه كذا وكذا، فهذا شكر العلم" .[٤]

أقول:

وهذا جهد المُقِلِّ ، قد أنفقتُ فيه جهدي وبذلت فيه وسعي ، وقد سطَّرته وأنا أعلم أنَّه عمل بشري يعتريه الخطأ والتقصير، وهذا المعنى قد ذكره الله عز وجل- في قوله تعالى" وَلَوْ كَانَ من عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا " (النساء/٨٢)
فكل ما كان من عند غير الله – تعالى فإنه لا يسلم من السهو والخطأ .
وفي هذا المعنى يقول عبد الله بن مسعود - رضى الله عنه- لما سئل عن رجل تزوَّج امرأة ، ولم يفرض لها صداقاً ، ولم يدخل بها حتى مات ، قال :
" فَإِنِّي أَقُولُ فِيهَا إِنَّ لَهَا صَدَاقًا كَصَدَاقِ نِسَائِهَا، لَا وَكْسَ، وَلَا شَطَطَ ، وَإِنَّ لَهَا الْمِيرَاثَ وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ، فَإِنْ يَكُ صَوَابًا فَمِنَ اللَّهِ تعالى، وَإِنْ يَكُنْ خَطَأً فَمِنِّي وَمِنَ الشَّيْطَانِ، وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ بَرِيئَانِ " .[٥]

فاللهمَّ رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم .[٦]
اللهم ربنا : اهدنا إلى خير الأقوال والأخلاق، والأفعال والأرزاق ، لا يَهدي لخيرها إلَّا أنت ، واصرف عنَّا سيئها ، لا يصرف عنَّا سيئها إلَّا أنت .
اللهم ربنا : أتمم لنا نورنا ، ودبَّر بلطفك أمورنا..
اللهم ربنا: سدَّد خُطانا ، واغفر خطايانا ، حرِّر أقصانا ، وفكَّ أسرانا ، إنك على كل شيء قدير، وأنت حسبنا ونعم النصير .
* اللهم اجعلنا ممن أسبلتَ عليهم جلابيب الستر في الدنيا، واتصل ذلك بالعفو عن جناياته في العقبى، إنك الفعَّال لما تريد.
واللهَ - تعالى- أسألُ أن يجعل ما أسطِّره حجة لي ، لا علىَّ ، وأن يجعل أفئدة من

---

[٣] مستلة من مقدمة "قواعد التحديث" لعلامة الشام ، الإمام القاسمي (ت: ١٣٣٢هـ)
[٤] أسنده عنه البيهقي في "المدخل" (رقم: ٧٠٥) ،والقاضي عياض في "الإلماع" (٢٢)
[٥] أخرجه أبو داود(٢١١٦)والترمذي(١١٤٥)،وقال الترمذي:"حسن صحيح" .
[٦] قد أخرج مسلم (٧٧٠) عن عائشة أم المؤمنين- رضي الله عنها- أنها سئلت بما كان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - يفتتح صلاته إذا قام من الليل ، فذكرتْ هذا الدعاء .

الناس تَهوي إليّ ، أنه وليٌّ ذلك والقادر عليه .

لقد مضيتُ وراء الركبِ ذا عَرَج   مؤمِّلا جبر ما لاقيتُ من عَرَجٍ
فإنْ لحقتُ بهم من بعد ما سَبقوا   فكم لربِّ الورى في الناس من فرَجٍ
وإن ضللتُ بقَفر الأرض منقطعاً   فما على أعرجٍ في الناس من حرجٍ

* ربنا .... أنتْ الْعَزِيزُ ، وقد مَسَّنَا العجزُ والفقرُ ، وَجِئْنَاكَ بِبِضَاعَةٍ من وَرَقاتٍ مُزْجَاةٍ ، فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ ،وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا ، ربنا وتقبل دعاء .

رَبِّ قَدۡ ءَاتَيۡتَنِي مِنَ ٱلعلمِ ، وَعَلَّمۡتَنِي مِن تَأۡوِيلِ ٱلۡأَحَادِيثِۚ ، فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ ، تَوَفَّنِي مُسۡلِمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ .

ولا يفوتني أن ألتمس من كل قارئ لهذا الورقات أن يتفضل مشكوراً بإبداء ملاحظاته وتوجيهاته ، فإنَّ المؤمن مرآة أخيه ، والله ـ تعالى- في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه ،والله ـ تعالى- أسأل أنْ يوفقنا لما فيه الصواب .

وصلَّى الله على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه وسلم .

وصية إليك يا طالب العلم :

بركة ملازمة المجالس :

في الصحيحين :عن أبي هُرَيرةَ - رضي الله عنه - قال:

قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:
" وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أَحَدِكُمْ يَوْمٌ ، لَأَنْ يَرَانِي، ثُمَّ لَأَنْ يَرَانِي، أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَمِثْلِهِمْ مَعَهُمْ ".[٧]
قالَ النَّوَوِي:

ومقصود الحديث : حثهم على ملازمة مجلسه الكريم ، ومشاهدته حضراً وسفراً ؛ للتأدّب بآدابه وتعلّم الشرائع وحفظها ليبلغوها، وإعلامهم أنهم سيندمون على ما فرَّطوا فيه من الزيادة من مشاهدته وملازمته ، ومنه قول عمر رضي الله عنه:

" ألهاني عنه الصفقُ بالأسواق " ، والله أعلم.[٨]

قال أبو زرعة ابنُ العراقي معقّباً على قول النووي :

وقد وجدنا ذلك في حق أنفسنا ومعلّمينا ؛ فقد ندمنا غاية الندم على التقصير في ملازمتهم إلى وفاتهم، وتبيَّن لنا سوء الرأي في ظننا أنَّ القدْر الذي حصَّلناه عنهم كافٍ ، وفاتنا بذلك من المصالح ما لا نُحصيه ، فكيف بسيِّد السادات صلى الله عليه وسلم ؟!![٩]

*** لذا نقول :**

أنَّ طالب العلم يحتاج إلي صبر ومصابرة ومرابطة ، والصبرعلى طريق العلم لن يتأتى للطالب إلَّا إذا كان ذا يقينٍ راسخٍ في قيمة القضية التى يحملها.
ومِن بديع ما سطَّر شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا المعنى قوله رحمه الله :

إنَّ الخفيف لا يثبت بل يطيش، وصاحب اليقين ثابت ، قال تعالى:
(فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ) [الروم: ٦٠] .[١٠]

قال الشافعي :

---

[٧] متفق عليه.
[٨] انظر : المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(١٢٩/٨)
[٩] انظر :طرح التثريب في شرح التقريب(١٤٨/٧)
[١٠] انظر :جامع المسائل(٢٦٠/٣)

لا يطلب أحدٌ هذا العلم بالملك وعز النفس فيفلح، ولكن من طلبه بِذل النفسِ وضيق العيش وخدمة العلماء أفلح.[11]

قال ابن القيم :
الصبر لِقاح البصيرة ؛ فإذا اجتمعا فالخير في اجتماعهما؛ قال الحسن:

إذا شئتَ أن ترى بصيرًا لا صبرَ له رأيتَه ، وإذا شئتَ أن ترى صابرًا لا بصيرةَ له رأيتَه، فإذا رأيتَ صابرًا بصيرًا فذاك، قال تعالى: (وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ٢٤)[السجدة: ٢٤] .[12]

***وإنْ تنظرْ في صبر إمام الأئمة تزددْ همة :**

قال صالح بن أحمد بن حنبل، قال:
رأى رجل مع أَبي مِحْبَرَة، فقال له: يا أَبا عبد الله، أَنت قد بلغت هذا المبلغ، وأَنت إِمامُ المسلمين ، فقال: " مع المِحبرة إلى المَقْبرة ".[13]
قيل للشعبي: من أين لك كل هذا العلم؟

فقال رحمه الله :
بنفي الاغتمام، والسير في البلاد، وصبرٍ كصبر الحمار، وبكورٍ كبكور الغراب.[14]

يا طالب العلم " صحح نيتك ":
عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

" مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ".[15]

قال ابن قيِّم الجوزية:

عَرْفُ الجنة، بفتح عين مهملة وسكون راء مهملة، الرائحة، مبالغةٌ في تحريم الجنة ، لأنَّ من لم يجد ريح الشيء لا يتناوله قطعًا.[16]

---

[11] انظر: المجموع(١/٣٥)وتذكرة السامع والمتكلم(ص/٧٢)
[12] انظر : الفوائد(ص/٤٠٦)
[13] انظر : مناقب الإمام أحمد(ص/٢٧)
[14] انظر : سير أعلام النبلاء(٤/٣٠٠)
[15] أخرجه أحمد(٨٤٥٧)، وأبو داود (٣٦٦٤)، وصحح سنده النووي في "المجموع" [١/ ٢٣]، وفي الرياض [رقم: ١٦٢٠]، وكذا صححه الذهبي في "الكبائر"(ص/١٢٠)
وفي سنده "فليح بن سليمان" مختلف فيه، وأكثر أهل العلم على تضعيفه، ولكن قال ابن عدي: له أحاديث صالحة، وقال الدّارقطنيّ: يختلفون فيه، وليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثّقات (٧/ ٣٢٤)، وقال الحافظ: صدوق ،كثير الخطأ، ولفليح بن سليمان متابع لهذا الحديث عند ابن عبد البر في "جامع بيان العلم" (١/ ١٩٠)

قال ابن حجر:

ومن المهم أيضاً معرفة آداب الشيخ والطالب: ويشتركان في: تصحيح النية، والتطهير من أعراض الدنيا، وتحسين الخُلق.[١٧]

قال ابن دقيق العيد:

العمدة العظمى في كل عبادة تصحيح النية ، ومن أحسن ما يُقصد في علم الحديث شيئان:

أحدهما التعبّد بكثرة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كلما تكرَّر ذكره ، ويحتاج ذلك إلى أن يكون مقصوداً عند اللفظ به ، ولا يخرج على وجه العادة،

والثاني : قصد الانتفاع والنفع للغير ، كما قال ابن المبارك - وقد استكثر كثرة الكتابة منه -:

"لعل الكلمة التي فيها نجاتي لم أسمعها إلى الآن"، ولا خفاء بما في تبليغ العلم من الأجور ، لا سيَّما وبرواية الحديث يدخل الراوي في دعوة النبيِّ صلى الله عليه وسلم حيث قال :

" نضر الله امْرَءًا سمع مَقَالَتي فوعاها ثمَّ أَدَّاهَا إِلَى من لم يسْمعهَا".[١٨]

قال الذهبي:

تصحيحُ النيَّةِ من طالب العلم متعيَّنٌ ، فَمَن طَلَب الحديثَ للمكاثرة، أو المفاخرة، أو ليَروِيَ، أو لِيتناوَلَ الوظائفَ، أو ليُثْنَى عليه وعلى معرفتِه: فقد خَسِر ، وإنْ طلَبَه لله تعالى ، وللعمل به، وللقُربةِ بكثرة الصلاة على نبيِّه - صلى الله عليه وسلم - ولنفعِ الناس: فقد فاز ، وإن كانت النيَّةُ ممزوجةً بالأمرينِ: فالحكمُ للغالب.[١٩]

قال سفيان الثوري: «زَيِّنُوا الْحَدِيثَ بِأَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَزَيَّنُوا بِالْحَدِيثِ».[٢٠]

والمعنى: لا تَزَيَّنوا بـ " حدثنا " و " أخبرنا "، وقال " شيخنا " ، ونحو ذلك وتتركوا العمل بالحديث في أنفسكم ،فمَن تزيَّن بالحديث يريدُ بذلكَ رفع قدر نفسه، فالخسار الخسار، والخذلان الخذلان.

---

[١٦] انظر: عون المعبود(١٠/٩٨)
[١٧] انظر: نزهة النظر(ص/١٤٦)
[١٨] انظر: الاقتراح في بيان الاصطلاح(ص/٢٦٤)
[١٩] انظر: الموقظة في علم مصطلح(ص/٦٥)
[٢٠] انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع(١/٩٤)وجامع بيان العلم وفضله(١١٥٨)

لمْ أسمُ في طلبِ الحديثِ لرفعةٍ *** أو لاجتماعِ قديمهِ وحديثِهِ

لكن إذا فاتَ المحبُّ لقاءَ مَن *** يَهوى تعلَّل باستماعِ حَديثه.[٢١]

ومن أقرب الوجوه في إصلاح نية طالب العلم :

١-هم القوم ، لا يشقى بهم جليسهم:

روى أبو عمرو إسماعيل بن نجيد : أنه سأل أبا جعفر أحمد بن حمدان، وكانا عبدين صالحين، فقال له : بأي نيةٍ أكتب الحديث ؟

قال : ألستم تروون أنَّ عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة ؟ قال : بلى ، قال : فرسول الله صلى الله عليه وسلم رأس الصالحين .[٢٢]

٢- رفع الجهل، وحسن العمل:

قال مُهنَّا : قلتُ: لأحمد بن حنبل: ما أفضل الأعمال ؟قال: طلب العلم لمن صحت نيته ، قلت: وأي شيءٍ تصحيح النية ؟ قال: ينوي يتواضع فيه ، وينفي عنه الجهل.[٢٣]

قال الشاطبي:

كل علم شرعي فطلب الشارع له إنما يكون من حيث هو وسيلة إلى التعبُّد به لله تعالى، لا من جهة أخرى، فإنْ ظهر فيه اعتبار جهة أخرى؛ فبالتبع والقصد الثاني،

---

[٢١] هذان البيتان لجلال الدين أبي المعالي ، المعروف بـ" ابن خطيب دَارَيَّا "(ت:٨١٠)
وانظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول(٧٦/٢)

[٢٢] انظر: المحدث الفاضل :"باب النية فيه"(ص/١٢٨)
قوله: "عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة" لا أصل له مرفوع؛ إنما هو من كلام ابن عيينة، قاله العراقي وابن حجر والسخاوي.=
=وقال عنه العراقي في " تخريج أحاديث الإحياء " (١٩٢٩):
" ليس له أصل في الحديث المرفوع، وإنما هو قول سفيان بن عيينة ، كذا رواه ابن الجوزي في مقدمة " صفة الصفوة "(ص/٢٢)

[٢٣] انظر: طبقات الحنابلة(٣٨٠/١)
ومهما هو : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُهَنَّا بْنُ يَحْيَى الشَّامِيُّ السُّلَمِيُّ (ت: ٢٤٨هـ)، من كبار أصحاب أحمد بن حنبل، وصحب أحمد إلى أن مات ،وأكثرهم ملازمة له، وإلحاحاً عليه في المسائل، فإنه قال عن نفسه:
«لزمت أبا عبد الله ثلاثا وأربعين سنة».
وقد روى مهنا كثيرا من المسائل في الفقه والحديث وعلله وأصوله ورجاله.
وكانت مسائله من الكثرة بحيث كان يفخر بها، ووصفها ابن أبي يعلى بأنها كانت أكثر من أن تحد لكثرتها.
حتى إن عبد الله بن أحمد بن حنبل تتلمذ عليه ، وأخذ عنه مسائل كثيرة جيادا لم يسمعها عبد الله من أبيه، بل ولم تكن عند غير مهنا، وقد حددت ببضعة عشر جزءاً.
انظر:معجم مصنفات الحنابلة(٦٠/١)

لا بالقصد الأول ، فإنَّ روح العلم هو العمل، وإلّا فالعلم عارية وغير منتفع به .[٢٤]
قال سفيان الثوري:

«العلم يهتف بالعمل ، فإن أجابه وإلّا ارتحل». [٢٥]

قال ابن الجوزي:

فالله الله في العلم بالعمل، فإنه الأصل الأكبر ، والمسكين كل المسكين من ضاع عمره في علم لم يعمل به، ففاته لذاتُ الدنيا وخيراتُ الآخرة، فقدم مفلسًا، على قوة الحجة عليه.[٢٦]

أيَّها الطالب:
نِعْمَ شرفُ أصحاب الحديث :

روى عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم:

"إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»".[٢٧]

قال ابن حبان في صحيحه: "في هذا الحديث بيان صحيح على أنَّ أولى الناس برسول الله -صلى الله عليه وسلم- في القيامة أصحاب الحديث ؛ إذ ليس من هذه الأمة قوم أكثر صلاة عليه منهم".

وقال أبو نعيم:

هذه منقبة شريفة يختص بها رواة الآثار ونقلتها ، لأنه لا يُعرف لعصابة من العلماء من الصلاة على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أكثر ما يعرف لهذه العصابة.[٢٨]

***أيَّها الطالب:**
اتقِنْ سماعك ، وقيّد كتابك :

قال النووي:

---

[٢٤] انظر: الموافقات(٧٥/١)
[٢٥] انظر: جامع بيان العلم وفضله(ص/٧٠٦)
[٢٦] انظر: صيد الخاطر(ص/١٤٩)
[٢٧] أخرجه الترمذي (٤٨٤)،وابن حبان (٩١١)، قال الترمذي: "حسن غريب، وصححه ابن حبان.
فيه عبد الله بن كيسان الزهري لم يوثقه إلا ابن حبان، وفيه موسى بن يعقوب الزمعي ، والأكثر على تضعيفه، والحديث فيه اضطراب كذلك.
انظر: ضعيف الجامع(١٨٢١)
[٢٨] انظر: شرف أصحاب الحديث(ص/٣٥)

المراد من علم الحديث تحقيق معاني المتون وتحقيق علم الحديث، ودوام الاعتناء به ،وتقييد ما حصَّل من نفائسه وغيرها ، فيحفظها الطالب بقلبه ويقيِّدها بالكتابة ، ثم يديم مطالعة ما كتبه ، ويتحرَّى التحقيق فيما يكتبه ، ويذاكر بمحفوظاته من ذلك من يشتغل بهذا الفن ، سواء كان مثله في المرتبة أو فوقه أو تحته ؛ فإنَّ بالمذاكرة يثبت المحفوظ ، ويتحرر ويتأكد ويتقرر ، ويزداد بحسب المذاكرة .[٢٩]

قال وكيع بن الجراح :

لا ينبل الرجل من أصحاب الحديث حتى يكتب عمَّن هو فوقه، وعمَّن هو مثله، وعمَّن هو دونه .[٣٠]

العلم صيدٌ والكتابة قيده قيِّد صيودك بالحبال الواثقة

فمن الحماقة أن تصيد غزالة وتتركها بين البريّة طالقة.

وقد روي عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال:

«قيِّدوا العلمَ بالكتابِ» .[٣١]

ولتعلم أنَّ حياة العلم مذاكرته ، قال عبد الله بن المعتز :

مَن أكثرَ مذاكرة العلماء لم ينس ما علم، واستفاد ما لم يعلم .[٣٢]

وقالوا:

من حاز العلم وذاكره صلحت دنياه وآخرته

فادم للعلم مذاكرةً فحياة العلم مذاكرته.

***أيَّها الطالب:**

لابد أنْ تعلم أنك قائم -لا محالة- على ثغر من ثغور الأمة ، فاللهَ اللهَ في نَبْلِكَ ورميك ، اصبر وصابر ، تعلَّم وعلِّم ، بلّغ آية ، واغرس سُنة ، لتضرب بسهم في نجاة الأمة .

قال عبد الله بن الزبيرالحميدي:

---

[٢٩] انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(٣٩/١)

[٣٠] انظر: تدريب الراوي(١٤٧/٢) ،والجامع لاخلاق الراوي وآداب السامع (٣٢٦/٢) ،باب: كتابة الأكابر عن الأصاغر.

[٣١] أخرجه الخطيب في «تاريخه» (٤٦/١٠) ، كما أورده ابن عبد البر مرفوعاً في جامعه ، باب ذكر الرخصة في كتابة العلم(٣٠٦/١)، وصححه الألباني بطرقه وشواهده، كما في «الصحيحة» (٢٠٢٦)

[٣٢] انظر: فتح المغيث (٣١٨/٣)

قال - والله- لأنْ أغزو هؤلاء الذين يردُّون حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم أحبُ إلي من أن أغزو عِدتهم من الأتراك .[٣٣]

قال ابن القيم :

تبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو ، لأنَّ ذلك التبليغ يفعله كثيرٌ من الناس ، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلَّا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم ، جعلنا الله – تعالى- منهم بمنِّه وكرمه .[٣٤]

قال ابن الوزير:

المحامي عَن السّنة الذاب عَن حماها كالمجاهد فِي سَبِيل الله تَعَالَى ، يُعِدُ للْجِهَاد مَا اسْتَطَاعَ من الْآلَات وَالْعُدة وَالْقُوَّة ، كَمَا قَالَ الله سُبْحَانَهُ { وَأَعدُّوا لَهُم مَا اسْتَطَعْتُم من قُوَّة}.[٣٥]

قال ابن العثيمين :

في نشرك للعلم نشرًا لدين الله عزَّ وجلَّ ، فتكون من المجاهدين في سبيل الله تعالى ، لأنك تفتح القلوب بالعلم، كما يفتح المجاهد البلاد بالسلاح والإيمان .[٣٦]

ومسك الختام مع كلام من ذهب للإمام الذهبي:

فحق على المحدِّث أن يتورَّع في ما يؤدِّيه ، وأن يسأل أهل المعرفة والورع ليعينوه على إيضاح مروياته، ولا سبيل إلى أن يصير العارف الذي يُزكي نقلة الأخبار ويجرِّحهم جهبذاً إلَّا بإدمان الطلب ، والفحص عن هذا الشأن ، وكثرة المذاكرة والسهر والتيقّظ والفهم ، مع التقوى والدِين المتين والإنصاف ، والتردد إلى مجالس العلماء والتحرّي والإتقان وإلَّا تفعل؛

"فدع عنك الكتابة ، لستَ منها ... ولو سودتَ وجهك بالمدادِ"

قال الله تعالى عز وجل: {فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ} [النحل: ٤٣]

فإن آنستَ يا هذا من نفسك فهماً وصدقاً وديناً وورعاً ، وإلَا فلا تتعنَّ ، وإن غلب عليك الهوى والعصبية لرأى ولمذهب فبالله لا تتعب .

وإن عرفتَ إنك مُخلِّطٌ مُخبِّطٌ مُهْمِلٌ لحدود الله تعالى فأرحنا منك ، فبعد قليلٍ ينكشف البهرج ، وينكبُّ الزَّغل ، ولا يحيق المكر السيء إلَّا بأهله .

---

[٣٣] انظر : ذم الكلام وأهله(٧١/٢)،ويقصد بالأتراك لما كانوا على الكفر الأصلي.

[٣٤] انظر : جلاء الأفهام (ص/٤٩٢)

[٣٥] انظر : إيثار الحق على الخلق (ص/٢٤)

[٣٦] انظر :شرح دعاء قنوت الوتر(ص/٦)

فقد نصحتك ، فعلم الحديث صَلِفٌ ،فأين علم الحديث؟ وأين أهله؟ كدتُ أن لا أراهم إلَّا في كتاب أو تحت تراب .[37]

ولله -تعالى- درُ الشافعي إذ يقول:

إذا رَأَيْتَ شبابَ الْحَـيِّ قد نـشأوا :: لا يَحمِلُونَ قِلالَ الحِبـرِ والـوَرَقَا

وَلَا تراهم لَدَى الْأَشْيَاخ فِي حِلَقٍ :: يَعُونَ من صَالحِ الْأَخْبَارِ مَا اتَّسَقَا

فَـعَـدِّ عَـنـهُم وَدَعـهُـم إنّهـم هَمَجٌ :: قَـدْ بَـدّلـوا بِـعُـلُـوِّ الـهِـمَّـةِ الحُمُـقَا .[38]

وصلَّى الله على النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله وصحبه وسلم. .

نبدأ –بفضل الله– شرح رسالة آداب المعلمين والمتعلمين.

---

[37] انظر: تذكرة الحفاظ(١٠/١)

ومعنى قوله رحمه الله: "وينكبُّ الزَّغل" : ينكب: يميل ، و"الزغل": الغش.

وقوله رحمه الله: " فعلم الحديث صَلِفٌ ": صَلِفَ: ثقلت روحه، والمراد أنه علم صعب.

انظر: المعجم الوسيط (٣٩٥/١) ، مادة (زغل)،ومادة (صلف)

[38] عزاه إليه ابن مفلح في" الآداب الشرعية"(٢١٣/١)وأبو عبد الله المراغي في "تاريخ دمشق"(٣٤٣/٥٢)

هذا شرح لرسالة الإمام أبي عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت ١٣٧٦هـ)، رحمه الله ورفع درجته في علِّيين ، والجميل في هذه الرسالة أمور، منها:

كونها مختصرة، ومنها أيضًا أنها لم تُخاطب المعلِّمين فقط، ولا المتعلِّمين فقط، بل جمعت بين الحُسنَيين، فكانت عظيمةً في بابها.

والمعنى العام لهذه الرسالة: أن تُعلِّمك الآداب، سواء كنت محاضرًا أو متلقِّيًا، معلمًا أو متعلِّمًا؛ لأنَّ المرء إذا كان متعلمًا، فهو يومًا ما –في الغالب– سوف يصير معلِّماً ،فيلزمه أن يقفو آداب العلّم كذلك.

نقول:

إنَّ المرءَ إذا ما تعلَّم، فلا بدَّ أن يُزكِّيَ علمه، وزكاةُ العلم أن يُبذَل، وأن يُعلِّم الناس، فهذه حياة القلوب.

فأنت إذا تصدَّقتَ على رجلٍ فقير، مثلاً، فقد أحييتَ بدنه من إعواز ، أمَّا إذا تصدَّقتَ على طالب علمٍ، فعلَّمته فقد أحييتَ قلبه، وحياةُ الإنسان في قلبه، لا في بدنه ، قال تعالى {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [سورة الحج: ٤٦].

إنَّ المعنى العام لهذه الرسالة المباركة :

أن تُعلِّمك أن تكون مؤدَّبًا مع معلِّمك، فالأدب أمرٌ عظيم، فكم مَن طلاب علمٍ بحسن أخلاقهم قد حَصَّلوا العلمَ الوفيرَ من مشايخهم، وكم من آخرين حُرِموا العلمَ لسوء أدبهم .

فهذا أبو سلمة، عبد الله بن عبد الرحمن بن عوف الزهري(ت:١٠٤هـ) كان يسائل ابنَ عباس رضي الله عنهما كثيراً، ويماريه فحُرم بذلك كثيراً من علم ابن عباس رضي الله عنهما.

قال الزهري:

كان أبو سلمة يماري ابنَ عباس؛ فحُرِمَ بذلك علماً كثيراً.[٣٩]

وقد ندم أبو سلمة على ذلك، وقال: « " لَوْ رَفَقْتُ بِابْنِ عَبَّاسٍ لأَصَبْتُ مِنْهُ عِلْماً كَثِيراً " .[٤٠]

---

[٣٩] انظر: تاريخ دمشق(٢٢٩/٢٩)والتاريخ الكبير(١٢٠/٥)

ولمَّا بلغ عائشة- رضي الله عنها- أنَّ أبا سلمة ينازع ابنَ عباس رضي الله عنهماويماريه، قالت:

يا أبا سلمة، إنما مثلك مثل الفروج يسمع الديكة تصيح فيصيح معها. [٤١]

فإذا كان الطالب كثيرَ المراجعة والجدال مع شيخه فإنَّ ذلك يحرِّمه من العلم الكثير.

وما نذكرناه ما هو إلَّا مثالٌ حيٌّ يُبيِّن سوء التعامل مع المعلِّم، وكيف تكون عاقبته.

فهذا الموقف يُعلِّم المرء حُسنَ الأدب مع معلِّمه، فإن وجدته واسعَ الصدر فاغتنمْه ، وإن رأيتَه مشغولاً، أو ضيّقَ الصدر لأمرٍ ما، فمِن الحكمة ألَّا تدخل عليه في وقت ضيقه.

فإن قلتَ : كيف أعرف ذلك؟

نقول:

الطالب من طول مُلازمته لمعلِّمه، يعرف مداخله ومخارجه، ويعرف من قَسَمات وجهه متى يسأله، ومتى لا يسأله ، متى يُقدِم؟ متى يُحجِم؟

فهذا كله من فقه التَّعامل مع المُعلِّم.

وفقه التَّعامل مع المُعلِّم، لو أُحسِنَه المتعلَّم لحصَّل علماً كبيراً.

فحليٌّ بكل طالب علِم أن يتعلَّم باب الأدب مع معلَّمه.

قال ابْنُ الْمُبَارَكِ، قَالَ: قَالَ لِي مَخْلَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ:

«نَحْنُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَدَبِ أَحْوَجُ مِنَّا إِلَى كَثِيرٍ مِنَ الْحَدِيثِ» .[٤٢]

ولأهمية هذا الباب، باب الأدب مع المعلَّم فقد صنَّف فيه المصنِّفون، كالإمام ابن عبد البر، الذي ذكر ذلك في كتابه جامع بيان العلم وفضله، وكذلك الخطيب البغدادي، الذي ذكر باب الأدب مع المعلِّم في مواضع عدة من كتبه ، مثل كتاب " الكفاية "، وكتاب "الفقيه والمتفقّه".

---

[٤٠] رواه الدارمي في مسنده(١٧٦/١) والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع(٢٠٩/١)

[٤١] انظر: تهذيب الكمال(٢٨٠/١٠)

[٤٢] انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع(٨٠/١)

وكذلك عبد الكريم السمعاني المروزي (ت ٥٦٢هـ) الذي صنَّف كتاب

" أدب الإملاء والاستملاء".

وليعلم أنَّ التصنيف في هذا الباب – باب الأدب مع المعلِّم، والأدب في طلب العلم – على نوعين:

أ- إما أن يُذكر هذا الباب تبعاً،

ب- أو يُصنَّف فيه قصداً.

بمعنى: إما أن يأتي ذكر الأدب مع العلم والمعلِّم كأحد الأبواب في كتاب جامع، أو يُصنَّف في هذه المسألة بعينها ، هذا معنى كلامنا: إمّا أن يُكتَب فيه تبعاً .

أو أن يُخصَّص له تصنيف مستقل ،فهناك مَن ألَّف كتاباً في الأدب مع المعلِّم.

وممن صنَّف خاصةً في هذا الباب:

الإمام ابن عبد القوي، في كتابه الألفية في الآداب، وكذلك ابن مفلح، في كتاب الآداب الشرعية.

وقد قيل أنِّ أوَّل من كتب في هذا الباب وأفرده بالذكر :

هو محمد بن سَحنون، الإمام المالكي القيرواني، واسع الاطلاع على قِلّة سنوات عمره، لكنْ بلغ ما بلغ .

وقد مات بعد أن جاوز الخمسين بعامين، ولكنَّ العلم لا يُقاس بالسنوات، إنما هو رزق يُفتح للعبد بحسن نيته ، والأدلّة على ذلك كثيرة.

والإمام محمد بن سحنون كان آية في الحفظ ، ومن عجيب ما ذُكر في سيرته أنه كانت له سرية ، يقال لها أم قدام ، فكان عندها يوماً، وقد شغل في تأليف كتاب الى الليل، فحضر الطعام، فاستأذنته، فقال لها:

أنا مشغول الساعة ، فلمَّا طال عليها، جعلت تلقمه الطعام، حتى أتت عليه ، وتمادى هو على ما هو فيه الى أن أذن لصلاة الصبح ، فقال:

شغلنا عنك الليلة يا أم قدام ، هاتِ ما عندك ، فقالت : قد والله يا سيدي ألقمته لك ، فقال لها: ما شعرت بذلك.[٤٣]

الشاهد من ذلك:

أنه تناول الطعام ولم يدر به أصلًا، لا طعم ولا تذوق ، لانشغاله بما هو أهم.

وهذا واقع ؛ فإنَّ الإنسان قد يصيبه بلاءٌ ، مثلاً ، فينسى الجوع، وكذلك هذا الإمام انشغل بالعلم حتى نسي مذاق الطعام.

محمد بن سحنون هو من صنَّف في هذا الباب، صنَّف كتابًا في أدب المعلم والمتعلَّم ، لكنه لم يصل إلينا .

نأتي إلى رسالتنا ، وهي للإمام عبد الرحمن بن ناصر السعدي، صنَّفها في في أسطر معدودات، فقال الشيخ رحمه الله عليه:

"يتعين على أهل العلم من المعلمين والمتعلمين أن يجعلوا أساس أمرهم الذي يبنون عليه حركاتهم وسكناتهم: الإخلاص الكامل والتقرب إلى الله بهذه العبادة، التي هي من أجل العبادات وأكملها".

ثم يقول رحمه الله : "ويجب أن يتفقدوا على هذا الأصل في كل دقيق وجليل من أمرهم. اهـ

الإمام بدأ بالتنصيص على الإخلاص، وبناه على أمرين: التأسيس والتأكيد.

ما الفرق بين التأسيس والتأكيد؟

التأسيس: أنه يقول لك: "احرص على الإخلاص في علمك، في تعلمك، في مجالس العلم"، هذا هو التأسيس.

ثم ذكر التوكيد :

بمعنى: "لا يكفي، بل لابد من مراجعة قلبك من حين إلى آخر."

إذًا، **المصنف بدأ بمسألة الإخلاص** والتأكيد عليها، وذكر مسألة التأسيس والتأكيد. أولًا، نبدأ من المسألة الأولى وهي: الكلام عن التأسيس. أي: إنشاء الإخلاص، ونفي الرياء والتسميع.

[٤٣] انظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٢١٧/٤)

فيجب على كل طالب علم أن يراقب ربه تبارك وتعالى في نفسه، في أنفاسه، في حركاته، في سكتاته، وأن يطرد عن قلبه الالتفات لقول البشر وثناء البشر.

فلا يضره ذمهم، ولا يسعى إلى مدحهم ، بل دوماً يسعى في علاج هذا الباب، وهذا من أخطر الأبواب، كما قال سفيان الثوري:

"ما عالجت شيئًا أشد عليّ من نيتي ؛ لأنها تتقلّب عليَّ ".[٤٤]

وذلك لأنَّ النفس بطبعها تحب الثناء والظهور والمدحَ والتقديم ، فطالب العلم لابد أن يجاهد نفسه في ذلك .

عن معقل بن يسار قال: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ:

"يَا أَبَا بَكْرٍ! لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ". فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟

فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم:

"وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟ ". قَالَ: "قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ".[٤٥]

هل تتخيل مدى خطورة هذا للأمر ؟

أعطيك مثالاً للتقريب فقط :

لو أنَّ نملة دخلت إلى بيتك، هل ستشعر بها؟ لا، والله لن تشعر بها ،

فوالله إنَّ دخول الرياء إلى القلب أشد خفاءً من دبيب النمل ، نسأل الله العفو والعافية.

فالناس في هذا الباب على أصناف:

منهم من يعمل لغير الله تعالى ، نعوذ بالله تعالى....

---

[٤٤] انظر: جامع العلوم والحكم(ص:١٢)

[٤٥] أخرجه البخاري في الأدب المفرد(٥٥١)، وصححه الألباني.

ومنهم من يترك العمل خشية أن يقع في الرياء ، حيث يُلِّبس عليه الشيطان، فيقول له: "لا تفعل، فإنك تفعل ذلك للناس"، فيحمله على ترك الطاعات خشية الرياء.

فكلا الأمرين مذموم ، والتوفيق في ذلك ما بين هذا وذاك.

فالموفَّق من يجاهد نفسه في الإخلاص، ولا يترك طاعة من الطاعات خشية أن يقال: "هذا مراء"، بل يُقدم على الطاعات ويجاهد نفسه في الله تبارك وتعالى، وعو في ذلك لا يأمن عل نفسه من النفاق، هكذا دوماً حتى تلقى ربك عزوجل ، وأنت تجاهد نفسك.

قال الحسن البصري : ما خاف النفاقَ إلَّا مؤمن ،ولا أمنه إلَّا منافقٌ .[٤٦]

وكون المرء دوماً يخشى النفاق ويراجع نفسه فهذا من علامات الإيمان ، وهذا من صريح الإيمان، أما المنافق فقد ركن إلى نفاقه ، وأطلق لنفسه العنان.

فالمؤمن دوماً يراجع نفسه ويجدد نيته، ولا يمنع أنَّ كل واحد منا قد يدخل في قلبه من حظوظ النفس؛ فقد يريد أن يُمدح، أو أن يظهر، أو أن يُصفق له الناس، أو أن يُشار إليه بالبنان، فهذا أمر قلَّما يسلم منه أحدٌ ، إلَّا من رحم الله تعالى .

ومصداق ذلك في قوله تعالى (إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ) [الأعراف: ٢٠١].

مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ : طائف الرياء ، وحب الظهور ، تذكروا :

فضل الإخلاص وخطورة الرياء، فإذا هم مبصرون، عادوا إلى إخلاصهم.

قال سفيان الثوري: تعلَّمنا العلم لغير الله ، فأبى أن يكون إلَّا لله .

وقال ابن المبارك: طلبنا العلم للدنيا ، فدلنا على ترك الدنيا .[٤٧]

في هذا دلالة أنهم كانوا في البداية يطلبون العلم لحظ النفس، . وهذا وارد في أول طريق طلب العلم، أن يبدأ الطالب لغير الله، ولكن ولكن كلما تعلموا ازدادوا خشية وإخلاصاً لله تبارك وتعالى، كما قال عزوجل :

---

[٤٦] أخرجه البخاري تعليقاً ، باب : - باب: خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر. ، قبل الحديث(٤٨)
[٤٧] انظر: أدب الدين والدنيا (١٣٨).

"إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ"، فانقلبت نياتهم ، وصاروا مخلصين لله تبارك وتعالى.

الأمر الثاني:

الذي نريد أن ننبِّه عليه هو أن النية الصالحة هي رأس مال طالب العلم ،فإن قال الطالب:

فماذا أنتوي عندما أطلب العلم؟

قال مهنا قلت: لأحمد بن حنبل: ما أفضل الأعمال؟ قال: طلب العلم لمن صحت نيته ، قلت: وأي شيء تصحيح النية.

قال: ينوي يتواضع فيه ، وينفي عنه الجهل. [٤٨]

و في كلام الإمام أحمد رحمه الله تأكيد على ضرورة تقديم الأهم على المهم في طلب العلم.

فالنية في العلم تبدأ بنفي الجهل عن نفسك ، وهذا هو أصل نيتك:

أن تنفي الجهل عن نفسك لتتعلم كيف تتعبد لله تبارك وتعالى ، فتكون عبادتك لربك تعالى على بصيرة، فكم من أُناسٍ عبدوا الله تعالى على جهل، فضلوا وأضلوا.

ألم يأتكم نبأ الخوارج الذين قتلوا الصحابة رضي الله عنهم وأبناء الصحابة، وظنوا أنَّ هذا من الدين ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

لك أن تتخيَّل أنَّ الذي قتل علياً رضي الله عنه ، وهو عبد الرحمن بن ملجم كان في أول أمره من حملة القرآن ، حتى أنَّ عمر بن الخطاب أرسله إلى مصر تلبية لطلب عمرو بن العاص رضي الله عنه حيث قال :-

"يا أمير المؤمنين أرسل لي رجلاً قارئاً للقرآن يُقرئ أهل مصر القرآن"

فقال عمر بن الخطاب :-

"أرسلتُ إليك رجلاً ، هو عبد الرحمن بن ملجم من أهل القرآن ، آثرتك به على نفسي".

---

[٤٨] انظر: طبقات الحنابلة(٣٨١/١)

نعم هذا هو عبد الرحمن بن ملجم قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

نعم هذا الرجل الزاهد العابد الورع محفظ القران وحافظه.

لقد انقلب على عقيبه ، تأمل أنَّ ا بن ملجم المخذول هذا لمَّا قتل علياً رضي الله عنه بسيفه المسموم كان يردد قول الله تعالى :-

{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ }(البقرة:٢٠٧)

قال عمران بن حطان السدوسي يمدح ابن ملجم - قبحه الله - في قتله أمير المؤمنين عليًا رضي اللـه عنه :-

يَا ضَرْبَةً مِنْ تَقِيَ مَـــا أَرَادَ بِهَا   إلاَّ لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَرْشِ رِضْوَانا.[٤٩]

عودٌ إلى المقصود:

أنط يا طالب العلم ، تنتوي حال طلبك للعلم أن تنفي الجهل عن نفسك لتتعلم كيف تتعبد لله تبارك وتعالى ، فتكون عبادتك لربك تعالى على بصيرة، فكم من أُناسٍ عبدوا الله تعالى على جهل، فضلوا وأضلوا.

فكم ترى مِن أناس يؤدّون الزكاة على غير مراد الشارع ، فتراهم مثلاً يُخرجون زكاة مالهم في صورة : " أجهزة طبية ، أو في شنط غذائية" ، ونحو ذلك ، فهؤلاء يقال لأحدهم يوم القيامة :

"ارجع فزكِ ؛ فإنك لم تذكِ "

فليس كل جاهل يُعذر بجهله ، نعم ، الأصل العام أنَّ الجهل هو أحد الأعذار لمن ترك واجباً ـ أو فعل محرَّماً ، ولكن هذه القاعدة ليست مطلقة. فاليوم يستطيع أي شخص أن يتعلم ، كيف يزكي ، وكيف يصلي،

---

[٤٩] قتل عليُّ بْنُ أبي طالب رضي الله عنه على يد خارجيٍّ يُدعى عبد الرحمن بْنُ مُلْجَم في ٢١ من شهْر رَمَضانَ سنةَ ٤٠ هـ، وذلك في المسجد الكبير بالكوفة في العراق ، كان يبلُغ من العمر ٦٢ أو ٦٣ عاماً، وقد تُوُفيَ رضي الله عنه متأثراً بجراحه بعد يومين من إصابة ابن مُلْجَم على رأسه بسيف مطلي بالسموم.
ومن عجيب الأمر أنَّ العلوية النصيرية يحبون ابَن ملجم ، لأنه قتل علي بن أبي طالب وقام بتخليص الناسوت من اللاهوت ، يعني خلص الجسد من الروح الألوهية .
يعني علي بن أبي طالب حلت فيه روح الله – بزعمهم- وأن ابن ملجم خلَّص الجسد من الروح ، وأصبحت الروح هي الباقية ، والروح هنا هي الرب المعبود عندهم !!!.
اللاهوت والناسوت هي مصطلحات نصرانية تعني (الروح والجسد) .
ويعتقد بعض العلوية النصيرية أن عليا بن ابي طالب -رضي الله عنه - يسكن السحاب بعد تخلصه من الجسد الذي كان يقيده ، وإذا مر بهم السحاب قالوا : السلام عليك يا أبا الحسن ، ويقولون : إن الرعد صوته ، والبرق سوطه.
انظر: "الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة" (٣٩٣/١-٣٩٩) .

ولكن للأسف، كثير من الناس يفعلون ثم يسألون: "فعلت ذلك ، فما الحكم الشرعي ؟"

الأمر الثاني :

الذي ننبه عليه طالب العلم ، هو أن يعلِّم الناس ، وهذا من أصلح النوايا حال طلبه للعلم ، فإذا كان تعليم النفس لرفع الجهل هو من النفع الذاتي ،

فإنَّ التعلم لتعليم الناس هو نفع متعدٍ ، عندما تُعلم الناس، تكون كالعطر الذي يظل عطره غاشيا.

وكما أنَه من مصيبة المرء أنه إذا مات، لم تمت سيئاته، فكلك من سعادته أنه إذا مات، لم تقف حسناته ، وذلك بنشره للعلم النافع بين الناس وطلاب العلم خاصة ،كما قال تعالى(وَنَكۡتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمۡۚ وَكُلَّ شَيۡءٍ أَحۡصَيۡنَٰهُ فِيٓ إِمَامٖ مُّبِينٖ)(يس:١٢)

فنحن إلى يوم الناس هذا ما زلنا نقول:

قال أبو العباس ابن تيمية، قال النووي، قال ابن حجر، قال ابن حزم،

قال الشافعي، قال أحمد ، بينما حدثني عن غني من أغنى أغنياء الأرض في زمان الشافعي، لن تجد ..

وذلك لأنَ العالِم وريث النبي صلى الله عليه وسلم.

فلما قال الله في حق النبي صلى الله عليه وسلم. (وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ)[سورة الشرح: ٤]،

فكل من سار على درب النبي صلى الله عليه وسلم. فله نصيب من هذه الآية.

***يا طالب العلم : انتبه:**

فرق بين من تعلَّم ليعلِّم، وبين من تعلَّم ليتصدر. هل بينهما فرق؟ نعم، فرق شاسع.

الأول :تعلَّم ليعلِّم الناس، فيبقى أجره مكتوبًا مسطورًا، ينتفع به يوم القيامة جبالاً من الحسنات.

أما الثاني، فإنه تعلَّم ليقال، وليتصدر المجالس ، حتى إذا حضر يقدَّم ويذكر اسمه، ويظهر بين الناس ، وحب الظهور يقصم الظهور.

***قف وتأمل يرحمك الله في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال:**

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ:

إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ، رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ:

فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟

قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ:

كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ هُوَ قَارِئٌ

فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا،

قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ هُوَ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ .»[٥٠]

فارق بين من تعلم ليعلم، وبين من تعلم ليتصدر. ..

فالعلم الشرعي شرف عزيز ، اصطفاء من الله عزوجل .

ويجب أن نعلم،أنَّ كل نص من كتاب أو سنة في مدح العلم ، كقوله صلى الله عليه وسلم ، مَن سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا ، وقوله تعالى يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖ)(المجادلة:١١) إنما يتوجَّه إلى العلم الشرعي، لا غير.

*يا طالب العلم : انتبه:

كنا نتكلم عن فرق بين من يتعلم ليعلم، وبين من يتعلم ليتصدر.

---

٥٠ أخرجه مسلم(١٩٠٥)

***وهنا مسألة مهمة تحتاج إلى توضيح، وهي الفرق بين الشرك في النيات ، والتشريك في العمل:**

لا شك أنَّ الإخلاص: أن تتوجَّه بالعمل لله تعالى ، خالصاً لوجه الله تعالى ، وابتغاء مرضاته، لا تريد من الناس أجرًا ولا شكرًا.

أما الشرك في النية، في أن تكون النية ليست خالصة لله تعالى .

وبينهما ما يسمَّى **التشريك في النية** :

والمعنى: أن يعمل المرء العمل الشرعي مما يبتغي فيه وجه لله تعالى، قاصداً فيه وجه الله تعالى ، وَلِتحصيل نفع دنيوي، ومثاله:

كأن يسعى المرء إلى دراسة علوم شرعية زيادة في العلم ، وليحصل على درجة الدكتوراة ، ليزداد راتبه في العمل.

مثال آخر:

رجل يسمع عن مسابقة لتحفيظ القرآن ولها جائزة مالية، فدخل في المسابقة من أجل مراجعة القرآن ، والحصول على الجائزة المالية ، فهذا يدخل في مسألة ال تشريك في النية ، وهذا – أي **التشريك في النية** - مع كونه جائزاً ، لكنه ليس فاضلاً، بل مفضول.

*كان لي صاحب أعرفه، كان لا يصلي، فأصابه مرض في رأسه، وكان شعره يتساقط ، فقال له الطبيب :

"لابد من وصول الدم إلى الرأس ، فعليك بكثرة السجود.

مثال آخر:

حديث الصحيحين : عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

" مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُوَسِّعَ اللهُ عَلَيْهِ فِي رِزْقِهِ، وَيَنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ" فهذه النية مبنية على مقدِّمتين:

الأولى: صلة الأرحام ، وهذا مطلب شرعي.

وله أثر في طول العمر وزيادة الرزق.

فمن علم بهذا الحديث، فبدأ يصل الرحم ابتغاء وجه الله تعالى ، ورغبة في زيادة الرزق والمال ، فهذا داخل في مسألة التشريك في النية.

مثال آخر:

قَالَ أَبُو قَتَادَةَ رضي الله عنه :قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم:
" مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَسَلَبُهُ لَهُ " (رواه الشيخان)

فلا شك أنَّ الصحابة رضي الله عنهم قد خرجوا مخلصين النية لله تعالى ، ومع ذلك فقد جعل لهم النبي صلى الله عليه وسلم جائزة ، أنَّ الواحد منهم إذا قتل قتيلاً فله سلبه، والسلبه : هو ما على المقتول من سلاح وغيره.
فهذا يُعتبر تشريك في النية.

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي، رحمه الله :

"فإن درسوا أو درِّسوا أو بحثوا أو نظروا أو سمعوا أو استمعوا أو كتبوا أو حافظوا أو كرروا أو جلسوا في مجالس العلم، كان الإخلاص لله واحتساب الأجر في الآخرة ملازماً لهم." كان الإخلاص ملازماً لهم.

ذكر المصنف هنا مسألة المدارسة والمناظرة والاجتماع ، وذكر سيَما طلاب العلم وصفاتهم، ومنها أنهم يخلِّصون في كل نفَس من أنفاسهم أثناء المباحثة .

فإنَّ الرياء مذموم ، فالله لو لم تكن من مصيبة المرائي يوم القيامة – لو لم يُعذَّب على رياءه- إلَّا ضياع العمر بلا أجر ، هكذا هباءً منثوراً ، لكفى بها مصيبة .

فلا بد من التأكيد على مسألة صفاء النية وسلامتها من كل شائبة ، ولو دقت ، فإنَّ المخلِص قد وجَّه قلبه شطر السماء ، لكسب رضا الله تعالى، وليس لكسب وجوه الناس ، وثناءهم عليه.

فإنَّ المخلِص لابد أن يراعي قلبه ، ولا يأمن الفتنة ،لا يأمن فتنة الرياء والتسميع .

وإذا كان إبراهيم عليه السلام هو الذي قال: {رَبِّ اجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ} [سورة إبراهيم: ٣٥]

فمن يعمل الفتنة بعد إبراهيم؟!

ومن يعمل الفتنة بعد أن قال يوسف عليه السلام :

{وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ} [سورة يوسف: ٣٣]،

لذا فإنَّ طالب العلم ، دوماً عليه لزاماً أن يدعو ربه النجاة من فتنة التسميع ، والرياء..

ودوماً عليه لزاماً أن يدعو ربه الثبات على الطريق ، فليست العِلّة أن تكون على الطريق، وإنما العِبرة بالثبات وعدم الزيغ.

تأمل في قوله: {فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا} [سورة النحل: ٩٤].

فما زل من ضياع، بل زل وسقط بعد حصول الثبات، نسأل الله تعالى العفو والعافية.

قال ابن مسعود رضي الله عنه:

" من كان منكم مستناً فليستن بمن مات ؛ فإنَّ الحيَّ لا تُؤمن عليه الفتنة ".[٥١]

وهذا الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله ، وهو في السويعات الأخيرة من عمره ، كما روي ذلك ابنه عبد الله أنه قال:

حين احتضر أبي جعل يكثر أن يقول: لا بعد، لا بعد، فقلت:

يا أبة ،ما هذه اللفظة التي تلهج بها في هذه الساعة؟

فقال: يا بني ، إنَّ إبليس واقف في زاوية البيت ،وهو عاضٌ على إصبعه ، وهو يقول: فتني يا أحمد ؟

فأقول : لا بعد ، لا بعد .[٥٢]

---

[٥١] أخرجه اللالكائي في "شرح أصول اعتقاد أهل السنة" (١٣٠) وإسناده صحيح،كما صح مثله في المعنى عن عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ : بلفظ:
((من كان مستناً فليستن بمن قد مات ؛أولئك أصحاب محمد -صلى الله عليه وسلم -كانوا خير هذه الأمة ،أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً ،وأقلها تكلفاً ،قوم اختارهم الله لصحبة نبيه -صلى الله عليه وسلم-))
أخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٣٠٥/١) وإسناده حسن.

[٥٢] انظر: مناقب الأمام(ص/٥٤٧)
هذا الأثر قد ذَكَرَهُ الذَّهَبِيُّ فِي "سِيَرِ أَعْلاَمِ النُّبَلاَءِ"؛ وَ كَذَا ابْنُ الجَوْزِيِّ فِي "مَنَاقِبِ الإِمَامِ أَحْمَدَ"، وَ فِي "صِفَةِ الصَّفْوَةِ"؛ وَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي "البِدَايَةِ وَ النِّهَايَةِ"؛ وَ غَيْرُهُمْ.
وهذا الأَثَرُ مَدَارُهُ عَلَى مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللهِ، وَ قَدْ تَفَرَّدَ بِهِ؛ وَ محمد هذا ليس له تَرْجَمَةً.!

***فرع:**

ومن علامات الإخلاص أن يكون طَالِبُ العِلم غايتُه العِلمُ لا الشُّهْرة ،

ولا يعنِف أو يتكبَّر في نقل العلم ؛ فيأخذ العلم ممّن هو فوقه، أو ممّن هو دونه ، ولا يأنف من أن يكتب عمَّن دونه ما يستفيده منه .

وتأمل في قول الهدهد (أحطتُ بما لم تحط به)

فيه قوله دلالة أنه قد يوجد من العلم عند الأصاغر ما لا يوجد عند الأكابر.

قال النووي:

أخذ العلم عمَّن كان عنده، ولو كان الآخذ أفضل من المأخوذ عنه، كما أخذ عمر رضي الله عنه عن هذا الأنصاري.[٥٣]

قال وكيع بن الجراح:

لا ينبل الرجلُ من أصحاب الحديث حتى يكتب عمَّن هو فوقه ،وعمَّن هو مثله ، وعمَّن هو دونهما .[٥٤]

وكذلك فمن علامات الإخلاص أن يقبل طَالِبُ العِلم الحق من أي أحد ، ما دام يقول الحق ، ومن دلائل ذلك أننا أخذنا بقول المسيح الدجال في إقراراه في حق النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قَالَ الدجال للصحابة رضي الله عنهم :

أَخْبِرُونِي عَنْ نَبِيِّ الأُمِّيِّينَ مَا فَعَلَ ؟ قَالُوا : قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ وَنَزَلَ يَثْرِبَ ، قَالَ : أَقَاتَلَهُ الْعَرَبُ ؟ قُلْنَا : نَعَمْ ، قَالَ : كَيْفَ صَنَعَ بِهِمْ ؟

فَأَخْبَرْنَاهُ أَنَّهُ قَدْ ظَهَرَ عَلَى مَنْ يَلِيهِ مِنَ الْعَرَبِ وَأَطَاعُوهُ ، قَالَ لَهُمْ :

قَدْ كَانَ ذَلِكَ ؟ قُلْنَا نَعَمْ . قَالَ : " أَمَا إِنَّ ذَاكَ خَيْرٌ لَهُمْ أَنْ يُطِيعُوهُ" .[٥٥]

حتى اليهود والنصارى، لمَّا قالوا أمراً فيه حق قرَّه الله تعالى ، كما قال الله تعالى:

وَ هُوَ مَجْهُولُ الحَالِ، فَلَمْ يُوَثِّقْهُ أَحَدٌ، وَ لَمْ يَرْوِ عَنْهُ إِلاَّ اثْنَانِ أَوْ أَكْثَرُ، وَ هُمَا:
أَبُو الفَتْحِ يُوسُفَ بْنُ عُمَرَ القَوَّاسِ، وَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَافِظُ ،فَهُوَ مَجْهُولُ الوَصْفِ -أَيْ ابْنَ عَلَمٍ-.!
لذا فهِيَ قِصَّةٌ غَرِيبَةٌ تَفَرَّدَ بِهَا ابْنُ عَلَمٍ هَذَا ،وَ اللهُ أَعْلَمُ.

[٥٣] انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج(٩٣/١٠)

[٥٤] انظر: معرفة أنواع علوم الحديث(ص/٢٤٩)

[٥٥] أخرجه مسلم(٢٩٤٢)

{وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيۡءٖ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ} (البقرة: ١١٣)

وكذلك فإنَّ هذا من فعل الله تعالى ؛ فلما برَّر المشركون فعلهم للفواحش بقولهم (وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا)(الأعراف:٢٨)

أقرَّهم الله تعالى على قولهم : " وجدنا عليه آباءنا"، ولم يقرّهم على زعمهم الباطل : " والله أمرنا بها"!!

نعود فنقول:

كذلك فمن أنفع السبل لتحصيل العلم بين الطلاب " مجالس المدارسة " :

فإذا جلسوا في مدارسة العلوم ، فهذا من أننفع الوسائل التي يقوم بها العلم. حين تجلس مع أقرانك، واحدًا أو أكثر، تذاكر معًا، تعيد عليهم المسألة، توضح له ما فهمته، وهم يوضحون لك ما فهموه.

وهذا لا شك أنه يدخل في عموم قوله تعالى : {وَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الكهف:٢٩].

لذلك، كان علماؤنا يجالس بعضهم بعضاً ، حتى يقول أحدهم بعد أن تصدَّر للناس ، وصار إماماً :

"وهذه الفائدة ظهرت لي في المدارسة مع الإمام فلان ".

ومن أمثلة الفوائد التي وقعت له في المدارسة أيضًا :

ما ذكره ابن فيروز في حاشيته على "الروض المربع" كان يقول كثيرًا: "وهذا مما أبداه بعض أذكياء الطلبة " ، والمعني أنه كانت تعقد مجالس المذاكرة بين ابن فيروز وقرنائه.[٥٦]

نعود لنقول:

---

[٥٦] ابن فيروز : هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن فيروز التميمي النجدي الأحسائي ، ولد يوم ١٨ ربيع الأول ١١٤٢ هـ بمدينة الأحساء، ونشأ بها برعاية والده، كف بصره بالجدري وهو ابن ثلاث سنين أو يقال تسع سنين ، وكان يقول لا أعرف من الألوان إلا الأحمر.

وحاشية ابن فيروز من أنفس ما كتب على الروض من الحواشي؛ لما فيها من التحريرات المذهبية، وشيء من علم الأصول والحديث، وقد نقلها كلها تقريبا العنقري، وكذا ابن القاسم في حاشيتيهما على الروض المربع والله أعلم.

إنَّ نعمة البيئة الصالحة ، وقرناء الخير من نجباء الطلاب لمِن أعظم النعم على طالب العلم ، أن يكون طالب العلم مع أقرانه يذاكر معهم ، ويراجع دروسه معهم ، كلٌ يخبر الآخر بفهمه ، وهذه المسألة كانت من هدي السلف .

ثم قال المصنف يتحدث عن هدي طلاب العلم :

"قال : أو بحثوا أو ناظروا."

الفرق بين البحث والمناظرة:

البحث :هو أن تبحث في مسألة، في أقوال العلماء، ماذا قال فلان، وماذا قال فلان.

أما المناظرة، فهي من المفاعلة، تكون مع الغير، حيث يتباحث اثنان في مسألة ما ، يكون لكل واحد منهما وجهة يرجِحه تخالف وجهة الآخر.

الفرق بين المناظرة والجدل:

الأول محمود، الثاني مذموم.

الجدل : الجدل مذموم في عرف العلماء، وهو رغبة كل طرف في ظهور قوله ، بغض النظر عن الحق ، فلا الطرفين يريد أن ينتصر لنفسه،

لا أن يظهر الحق.

ففيه حظ للنفس ، وفيه نوع من الإصرار على فرض الرأي،فغرض المناظرة إنما هو رغبة المجادل أن يركن الخصم إلى رأيه .

فالمجادل لسان حاله يقول:

"قولي صواب لا يحتمل الخطأ، وقول غيري خطأ ، لا يحتمل الصواب."

أما المناظرة:

ففيها يناظر المرءُ صاحبَه، ويبتغي في ذلك إظهار الحق، سواء كان على لسانه أو لسان صاحبه ، وهو في ذلك يقصد الوصول إلى الحق، وهذه أمور نوايا، كما قال صلى الله عليه وسلم : "إنما الأعمال بالنيات."

ومثل هذا الشخص لا يعدم الأجر ، وإن أخطا الحقَ ؛ فإنه إن أصاب الحق فله أجران، وإن أخطأ الحقَ فله أجر واحد .

فالمناظِر لسان حاله يقول:

"قولي صواب يحتمل الخطأ ، وقول غيري خطأ ، يحتمل الصواب ."

قال المصنف: "وما زال يوصي المعلم المتعلق: اسمعوا واستمعوا."

الفرق بين السماع والاستماع:

فارق بينهما: السماع لا أجر عليه ولا وزر ، مثلًا إذا كنت جالسًا بجوار إذاعة القرآن الكريم، الرجل يقرأ مثلًا، فأنت تسمع سماعًا عابرًا ،

هذا لا أجر عليه .

كذلك إذا كنت في سيارة عامة ، وكان فيها صوت الموسيقى، وأنت تسمع بوصول الصوت إلى الأذن، ولكنك لا تستمع ، فمثل هذا لا يترتب عليه الوزر.

ففارق بين السماع والاستماع ، لذا قال الله تعالى(وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا)[الأعراف:٩]،

فالسماع هو وصول الصوت إلى الأذن، ولا يترتب عليه أجر ولا وزر.

أما الاستماع، فهو الوقوف مع السمع بالتأمل والتدبر والتفهم.

لذا أمر الله تعالى عباده بإلقاء السمع حال سمع آياته الكريمة ، فقال تعالى

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرًا لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَىٰ السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)(ق:٣٧]

لذا قال ابن القيم :

"إذا أردتَ الانتفاع بالقرآن فاجمع قلبك عند تلاوته وسماعه ، وألقِ سمعك واحضر حضور من يخاطبه به من تكلَّم به سبحانه ؛ فإنه خطاب منه لك على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، قَالَ تَعَالَى {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيد} .[٥٧].

فالاستماع أخص من السماع ؛ فالاستماع سماع وزيادة ، فكل مستمع سامع،

لكنَّ العكس غير صحيح.

ففارق بين السماع والاستماع ، ومعلوم أنَّ الزيادة في المبنى زيادة في المعنى.

***ومن نظائر ذلك " الزيادة في المبنى زيادة في المعنى":**

قوله تعالى (وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا) (فاطر:٣٧)

فلا شك أنَّ الاصطراخ أشد من معنى الصراخ.

وكذلك قوله تعالى(رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا فَٱعۡبُدۡهُ وَٱصۡطَبِرۡ لِعِبَٰدَتِهِۦۚ هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا)(مريم:٦٥)

---

[٥٧] انظر : الفوائد(ص/٥)

قال المصنف بعد: "وكتبوا كل كلمة" :

فلا شك أنَّ العلم صيد ، والكتابة قيدٌ له ،

قال المصنف: " أو كرروا دروسهم الخاصة."

مسألة تكرار العلم، والامر إذا تكرر تقرر، فلا بد من أن تكرار المسألة مراراً ؛ فالعلم لا يثبت إلَّا بالتكرار، وبالتكرار يزكو العلم وتثبت الأفكار.

ذكر أبو هلال العسكري الأديب أنه كان يشق عليه الحفظ، فكان يكرِّر المسألة عشرات المرات، حتى ألان الله تعالى له الحفظ.

وتكرار مسائل العلم هو سنة السلف:

قال إسماعيل بن يحيى المزني صاحب الشافعي.

قرأتُ كتابَ "الرسالة" للشافعي خمسمائة مرَّة، ما من مرَّة منها إلاَّ واستفدتُ فائدة جديدة لم أستفِدها في الأخرى.[٥٨]

قال ابن بَشْكُوَال:

كان الإمام أبو بكر غالب بن عبدالرحمن بن تمام بن عَطيَّة حافظًا للحديث وطرُقه وعِلَله، عارفًا بالرجال، ذاكرًا لمتونه ومعانيه، قرأتُ بخطِّ بعض أصحابنا أنَّه سمعه يَذكر أنَّه كرَّر "صحيح البخاري" سبعمائة مرَّة .[٥٩]

قال رجلٌ لأبي مسعود الرازي: إنا ننسى الحديث ، فقال: " أيّكم يرجع في حفظ حديث واحد خمسمائة مرة؟

قالوا: ومن يقوى على هذا ؟ فقال:" لذاك لا تحفظون ". [٦٠]

قال يحيى بن معين : كتبتُ بيدي ألفَ ألف حديث ، قال الذهبي : يعني : بالمكرَّر ، ألا تراه يقول - أي ابن معين-: لو لم نكتبْ الحديث خمسين مرة ما عرفناه .[٦١]

---

[٥٨] انظر: توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس ؛ لابن حجر (١٥٠)
وقال السبكي: قال المزنيُّ: أنا أنظر في كتاب الرسالة مُنذُ خمسين سنة، ما أعلم أنِّي نظرتُ فيه مرَّة إلاَّ وأنا أستفيد شيئًا لم أكن عرفتُه؛ (طبقات الشافعية الكبرى ٢/ ٩٩ ، رقم٢٠).
[٥٩] انظر: السير (١٩/ ٥٨٧) وشذرات الذهب (٤/ ٢٠٢).
ولمزيد من هذه الأخبار يراجع:
"صفحات من صبر العلماء" للشيخ عبدالفتاح أبو غدَّة رحمه الله (ص١٩٧)، و "المشوق إلى القراءة وطلب العلم" ؛ للشيخ علي بن محمد العمران (ص ١٠٧).
[٦٠] انظر: طبقات المحدثين(٢/٢٥٦)
[٦١] انظر: سير أعلام النبلاء(١١/٨٥)

لذلك: إياك أخي أن تملَّ من التكرار، وخذ هذه القاعدة:

"مَن ملَّ وكلَّ ، دَرَسَ علمُه وقلَّ ".

ومعنى كلمة دَرَسَ: لغة أي : انمحى وقلَّ.

فإذا سألتَ: وكيف يثبت علمي؟

نقول: أركان العلم ثلاثة: "إخلاص، عمل، وتكرار"

وإذا أردت أن يثبت لك العلم فاعمل به،قا تعالى(وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرًا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتًا)(النساء:٦٦)

فذكر تعالى المقدمة (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به) ، ثم ذكر النتيجة التي بُنيت على العمل ، ألا وهي الثبات على الأمر.

ونظير ذلك : قوله تعالى {إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} [سورة الأنفال: ٢٩].

مقدمة ونتيجة:

الشرط ، و جواب الشرط، {إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا} ،

أي تفريق بين الحق والباطل ، فلا يلبس عليكم، وكم من أناس في هذا الباب لبس عليهم الحق والباطل، عاش عمره يدافع عن قضية فاشلة خاطئة كاذبة، وحسب أنهم يحسن صنعًا.

قال المصنف: " وراجعوا عليها أو على غيرها من الكتب الأخرى"،

يريد أن يبين لك المصنف مسألة تنويع الكتب، وأنك لا تلزم كتابًا واحدًا ، أو تلزم شيخًا واحداً ؛ ذلك لأنَّ التنويع يعطي لك الثقل والمتانة،

فلا يكفيك فنٌّ واحد ، بل طالب العلم طالب موسوعي ، يحوز من كل شيء شيء.

فإن كنت طالبًا في العقيدة فقط ، ستكون ضعيفًا في الأصول، ضعيفًا في الحديث، ضعيفًا في الفقه.

وكذلك إذا كنت متخصصًا في الفقه فقط ، ستضعف عقيدتك .

تتعلم الفقه والعقيدة ، كما تتعلم اللغة حتى يستقيم اللسان.

أتعجب من طالب العلم يلحن، هذه كارثة والله!

<u>أقول:</u>

لا نريد من طالب العلم أن يكون عالمًا بالفرق بين الكوفيين والبصريين في خلافات أهل النحو مثلا، ، بل على الأقل تأخذ فقط ما يستقيم باللسان.

كالملح في الطعام، وطعام بلا ملح لا يُؤكل.

قال المصنف: "أو جلسوا في مجلس علم"،:

هذه مسألة مهمة جدًا يذكر فيها المصنف أحد أهم وأعظم وسائل تحصيل العلم الشرعي ، وهي أن تجلس في مجالس العلم،

أقول ذلك في زمن اكتفى فيه الطلاب بالعالم الافتراضي، العالم الأزرق، واكتفوا بذلك ، ولم يخطو خطوة إلى مجالس العلم.

فالطالب قد يجلس لسماع درس في بيته فتغلق عليه المسائل،

أما في مجالس العلم حيث تعشى أهله الملائكة، وتتنزل عليهم الرحمة، وتتنزل البركات، والفهم، وسعة الصدر والطمأنينة {**أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ**} **[الرعد: ٢٨].**

وعلى رأس ذكر الله، طلب العلم ، حيث تتنزل الفهوم والفتوحات.

<u>وعليكم يا طلاب العلم بفهم هذه الأصول المهمة:</u>

١-الأصل في العلم التلقِّي.

٢-من جعل شيخه كتابًا، كثر خطئه، وقلَّ صوابُه.

٣-من دخل في العلم وحده، خرج من العلم وحده.

نأتي إلى القاعدة الأولى في العلم:

١-الأصل في العلم التلقِّي، هذه القاعدة دليلها، قوله تعالى {وَإِنَّكَ لَتُلْقَى الْقُرْآنَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ} [النمل: ٦]

ويكفي أن نعلم أنَّ هذا كان هو السبيلَ لدى السلف من متقدِّمي هذه الأمة إلى متأخريها ، فقد أخذ الصحابةُ رضي الله عنهم الإسلامَ بعلومه من

رسولِ الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقَّاه التابعون من الصحابة رضي الله عنهم.

وهكذا تابُع التابعين من التابعين ، كلُّ ذلك لتلقي الذِكر من أهله الذين تلقَّوه من أهله بسندهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلقد كان التابعي يعكِفُ في محراب العلم النافع بين يدي الصحابي ثم يُتْقن ويرتقي في التلقي علماً ومعرفةً وذوقاً حتى إذا ما نظر إليه شيخه من الصحابة يباهي به قائلاً:

والله لو رآك رسول الله صلى الله عليه وسلم لأحبَّك.

القاعدة الثانية:

من جعل شيخه كتابه ، كثر خطئه، وقلَّ صوابُه.. هذه القاعدة لا تحتاج إلى دليل، فالواقع والوقائع خير دليل.

فإنَّ الخوارج ما قتلوا المسلمين إلَّا لما أخذوا العلم من الكتب ، فلم يجلسوا للركب بين الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون من علومهم ، لذا صاروا كمن قال الله تعالى فيهم (ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا)

فإنهم قتلوا الصحابة رضي الله عنهم لما كان شيخهم هو الكتاب،

فهل أمثال هؤلاء جلسوا للركب بين الصحابة رضي الله عنهم يتعلمون من علومهم؟!

هل قرؤوا آيات الله تعالى ففهموها على ما أُنزِلت؟!

القاعدة الثالثة:

من دخل في العلم وحده، خرج من علم وحده:

والمعنى أنه:

من دخل العلم بفهمه هو ، لا بفهم معلمه ، خرج وحده ، أي خرج بلا شيء .

وكان السلف إذا سمعوا عن رجل تصدَّر للتدريس، قالوا: من شيخه؟

وكان مما يُلمز به في كتب التراجم ، وصار من المثالب أن يقال:

" فلان لا شيخ له ".[٦٢]

كما قال الذهبي في ترجمة علي بن رضوان المصري الطبيب (ت:٤٥٣هـ)، وقد رد عليه علماء عصره ومن بعدهم.

"ولم يكن له شيخ، بل اشتغل بالأخذ عن الكتب، وصنف كتاباً في تحصيل الصناعة من الكتب، وأنها أوفق من المعلمين، وهذا غلط".[٦٣]

وكان أبو حيان محمد يوسف الأندلسي (م سنة ٧٤٥ هـ) إذا ذُكِر عنده ابن مالك، يقول : "أين شيوخه ؟ [٦٤]

إذا رُمتَ العلوم بغير شيخٍ ضللتَ عن الصراط المستقيم

وتلتبس الأمور عليك حتى تصير أضل من "توما الحكيم".

وقال الوليد :

كان الأوزاعي يقول: كان هذا العلم كريماً ، يتلاقاه الرجال بينهم، فلمَّا دخل في الكتب، دخل فيه غير أهله.[٦٥]

قال الشيخ بكر أبو زيد:

الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي عن الأساتيذ، والمثافنة للأشياخ، والأخذ من أفواه الرجال لا من الصحف وبطون الكتب[٦٦] .

---

[٦٢] وهذه العبارة عند السلف تنضبط بالمعنى الصحيح ، وهي أن يكون للطالب معلم وشيخ يوضح له مبهمات المسائل ، ويفتح له مغاليق العلم ، دون أن يجعل الطالبُ شيخه محلاً للغلو والتقديس، وهذا بخلاف من يستعمل هذه العبارة وفق الأهواء الخاصة ، فقد قالوا:

«من لا شيخ له فشيخه الشيطان، ومتى كان شيخه الشيطان كان في الكفر »

وهذا شبيه بما نسبه النصارى إلى المسيح أنه قال: «أنا هو الطريق والحق والحياة، ليس أحد يستطيع أن يأتي إلى الأب إلا بواسطتي «(يوحنا ١٤: ٦) وليس في الإسلام شيء يمنع من الوصول إلى الله. ولا واسطة تحول بين الله وبين عباده.

نقول:

نعم، الشيخ أمر ضروري لطلب العلم، لكنه لا يعظم كتعظيم الله عزوجل، فتكون كمن قال الله تعالى فيهم (ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ).

إن وجود الشيخ مجرد سبيلٍ لعَرض ما جاء به الكتاب والسنة ، وليس هو على سبيل القيد القهري أو التقليد الأعمى.

[٦٣] انظر: سير أعلام النبلاء (١٠٥/١٨)

[٦٤] مقدمة التحقيق لكتاب "الغنية" للقاضى عياض (ص١٦ – ١٧)

[٦٥] انظر: المصدر السابق(٧ / ١١٤)

فائدة:

ذكر الشيخ هنا أنَّ الأصل في الطلب أن يكون بطريق التلقين والتلقي،

فما الفرق بينهما؟

أما التلقي :فيكون المعلم هو الذي يملي على الطالب المسائل.

وأما التلقين: فإنَّ المعلم يقول الجملة أو الجملتين، والطالب يقول خلفه.

قول المصنف، وهو يتحدث عن طرق وسبل تحصيل العلم،:

"أو ما يُعين على العلم"،

قال: "أو ما" من صيغ العموم، والمعنى:

أنك تبحث عن كل وسيلة تزداد بها علمًا، فإنَّ الأصل في الإنسان الجهل، لا العلم، لقوله تعالى {وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا} [سورة النحل: ٧٨].

فالإنسان بعد أن يتعلم، يعلم أنه مهما تعلم، فعِلمه قليل ، وكان الشيخ ابن باز -رحمه الله- دائم الدعاء بهذه الكلمات:

"ربي زدني علمًا، ربي زدني علمًا". فيُسئل:

أنت بلغت ما بلغت، وما زلت تقول ذلك؟ فيُجيب مستشهدًا بقول الله تعالى: {وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا} [سورة الإسراء: ٨٥].

فقول المصنف، وهو يتحدث عن طرق وسبل تحصيل العلم،:

"أو ما يُعين على العلم"،

والمعنى: أنك تبذل الجهد في كل سبيل يُوصلك إلى العلم ، وهذا يُستَقريء من قوله صلى الله عليه وسلم:

《من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهّل الله له به طريقًا إلى الجنة

[رواه مسلم، رقم: ٢٦٩٩].

[٦٦] انظر: حلية طالب العلم(ص/١٩٥)

قوله صلى الله عليه وسلم "من سلك" :

شرطية، و"طريقًا" نكرة في سياق الشرط، تفيد العموم: من سلك طريقًا مسموعًا، أو مقروءًا، أو محفوظًا، أو غير ذلك، فكلها داخلة في طرق وسبل تحصيل العلم.

قال ابن حجر:

قوله صلى الله عليه وسلم: (طريقا):

نكَّرها ، ونكَّر " علماً" لتناول أنواع الطرق الموصلة إلى تحصيل العلوم الدينية ، وليندرج فيه القليل والكثير .[٦٧]

والله -تبارك وتعالى- من عظيم فضله قد يسر لنا ما لم يُوفَّره لغيرنا؛

يسَّر لنا سُبل الطلب في كل وقت، وفي كل مكان، من خلال هذه السبل المسموعة والمرئية.

فأنت اليوم، في أقل من دقائق تستطيع أن تصل إلى الحديث، وحكمه، وشرحه، وتوضيحه، وكلام أهل العلم فيه.

ولكن يظهر أنَّ التيسير لا يأتي إلا باليَسير ، والمعنى:

أن الطالب إذا صار الأمر بالنسبة له سهلًا يسيرًا، أصابه الفُتور والزُّهد المذموم.

فالأمر يظهر أنه لمَّا سَهُل الحصول على العلم ،فقد زهدت فيه هِمَم الطلاب.

وأما السابقون فهم مختلفون:

فعن جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما أنه قال:

بَلَغَنِي حَدِيثٌ عَنْ رَجُلٍ سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَاشْتَرَيْتُ بَعِيرًا، ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِ رَحْلِي، فَسِرْتُ إِلَيْهِ شَهْرًا حَتَّى قَدِمْتُ عَلَيْهِ الشَّامَ، فَإِذَا عَبْدُ اللهِ بْنُ أُنَيْسٍ، فَقُلْتُ لِلْبَوَّابِ: قُلْ لَهُ: جَابِرٌ عَلَى الْبَابِ، فَقَالَ: ابْنُ عَبْدِ اللهِ؟

---

[٦٧] انظر : فتح الباري(١٩٢/١)

قُلْتُ: نَعَمْ. فَخَرَجَ يَطَأُ ثَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَنِي، وَاعْتَنَقْتُهُ. فَقُلْتُ: حَدِيثًا بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم فِي الْقِصَاصِ، فَخَشِيتُ أَنْ تَمُوتَ أَوْ أَمُوتَ قَبْلَ أَنْ أَسْمَعَهُ. قَالَ:

سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: " يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَوْ قَالَ: الْعِبَادُ - عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا " قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ:

" لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مِنْ بُعْدٍ كَمَا يَسْمَعُهُ مِنْ قُرْبٍ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الدَّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ حَتَّى أَقُصَّهُ مِنْهُ حَتَّى اللَّطْمَةُ " .

قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللهَ عز وجل عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا؟

قَالَ: " بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ " .[٦٨]

فهذا هو الأصل في العلم ، أن تشد الرحال في طلب العلم ، وكان الطالب منهم إن لم يرحل في طلب العلم، لم ينتفع به، ولم يرجع منه بشيء.

بل كان أحدهم إذا طلب الحديث، احتسبه أهله عند الله.

وهذا يدل على حِرصهم على الطلب. وقد صُنِّف في سير الأوَّلين في الطلب ، ومن ذلك كتاب الإمام الخطيب البغدادي الذي صنَّف "الرحلة في طلب الحديث"، وهو كتاب ماتع.

أتدرون من "المكنسة"؟ هو بَقِيّ بن مَخْلَد، هذا العالِم الذي جاب الأرض طلبًا للعلم، حتى لُقِّب بـ"المكنسة". لقد بلغ به الجوع أنه أكل ورق الكرنب

***واحفظ هذه الثلاثة ،والتزم بها:**

١-النَّعيم لا يُدرَك بالنَّعيم.

٢-من لَزِمَ الوسادة ضيَّع السيادة.

٣- من آثر الراحة ابتلي بالإزاحة.

***قال المصنف -رحمه الله-:**

---

[٦٨] أخرجه أحمد(١٦٠٤٢)و البخاري في "الأدب المفرد" (٩٧٠) والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" (١٧٤٨)، وفي "الرحلة" (٣١)، وابنُ عبد البر في "بيان العلم"(ص/١٢٢)

"ثم بعد هذا يتعيّن البداءة بالأهم فالأهم من العلوم الشرعية، وما يُعين عليها من علوم العربية".

يقول لك: في بداية الطلب، لا بدَّ أن تعرف من أين تُؤكل الكتف.

فكم من طُلّاب بارت أرضهم، لمَّا لم يُحسنوا السقاية!

فلابد أن تبدأ، وتُقدّم الأهم على المهم ، وهذا واجب، وهذا من فقه التعامل مع الطلب.

قال ابن عباس في تفسير قوله تعالى: {وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ}

[آل عمران : ٧٩]

"الرَّبانيِّون: هم الذين يُعلِّمون الناسَ صغار العلم قبل كِبَاره".[٦٩]

فلما كان الطالب بين يدي مُعلّمه، كالطفل في حجر أمه، بمعنى :

إذا قال له شيئًا، التزم الطالبُ به ، لذا فمن أمانة المعلم :

ألّا يُقدِّم حظّ نفسه، بل يُقدِّم نفع طلابه، أن يُعطيهم ما ينفعهم، وهذا هو العالم الرباني، الذي وُفِّق أن يُعلِّم طلابه ما ينفعهم في المرحلة التي هم فيها.

قال الميموني: سألت أبا عبد الله :

أيهما أحب إليك أبدأ ابني بالقرآن أو بالحديث؟ قال: لا؛ بالقرآن، قلت: أعلمه كله؟ قال: إلا أن يعسر فتعلمه منه، ثم قال لي:

إذا قرأ أولاً تعوَّد القراءة ، ثم لزمها.

قال ابن مفلح معلّقاً :وعلى هذا أتباع الإمام أحمد إلى زمننا هذا ".[٧٠]

فطالب العلم أول ما يعتني به هو القرآن: حفظًا، فهمًا، تدبّرًا، تلاوةً.

قال الوليد بن مسلم:

---

[٦٩] أخرجه البخاري معلقاً قبل الحديث(٦٨)، باب: العلم قبل القول والعمل ، قال ابن حجر : وصله ابن أبي عاصم بإسناد حسن ، والخطيب بإسناد آخر حسن.
انظر : فتح الباري(١/١٩٨)

[٧٠] انظر: الآداب الشرعية(٢/٣٣)

كنا إذا جالسنا الأَوْزاعي فرأى فينا حدَثًا (أي ولدًا صغيرًا)، قال: يا غلام، قرأتَ القرآن؟ فإن قال: نعم، قال: اقرأ: (يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ) [النساء: ١١]، فإن قال: لا، قال:

اذهب تعلم القرآن قبل أن تطلب العلم .[٧١]

إنها سنة السلف ، كانوا إذا أتاهم الأحداث ، وهم صغار الطلّاب، يأمروهم ألّا يحصّلوا شيئاً من العلم حتى يتموا حفظ القرآن.

قال محمد بن الفضل:

سمعت جدي يقول: استأذنت أبي في الخروج إلى قتيبة فقال: اقرأ القرآن أولا حتى آذن لك؛ فاستظهرت القرآن، فقال لي: امكث حتى تصلي بالختمة؛ ففعلت، فلما عيدنا أذن لي ".[٧٢]

ولشيخ الإسلام ابن تيمية تفصيل مهم في هذ الباب ، حيث سئل رحمه الله:

أيما أفضل طلب القرآن أو العلم ؟

فأجاب:

أما العلم الذي يجب على الإنسان عيناً ، كعلم ما أمر الله به وما نهى الله عنه فهو مقدَّم على حفظ ما لا يجب من القرآن ؛ فإنَّ طلب العلم الأول واجب وطلب الثاني مستحب ، والواجب مقدَّم على المستحب.

وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدَّم في التعلّم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع ؛ فإنَّ المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن ؛ فإنه أصل علوم الدين. [٧٣]

فإذا سألتَ:

هل من دليل على أن الطالب لا بد أن يبدأ بالقرآن؟

نعم، في حديث البخاري، مرفوعًا، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

حُذَيْفَةُ رضي الله عنه قَالَ:

---

[٧١] انظر : تاريخ دمشق لابن عساكر(١٨٧/٣٥)
[٧٢] انظر: تذكرة الحفاظ (٢٠٩/٢)
[٧٣] انظر: مجموع الفتاوى(٥٤/٢٣)

حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ السُّنَّةِ).[٧٤]

ووجه الدلالة:

إنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لمَّا ذكر العلم، رتَّبه فبدأ بالأهم.

قال ابن حجر في هذا الحديث:

"إشارة إلى أنهم كانوا يتعلمون القرآن قبل السُّنن ، والمراد بالسنن ما يتلقونه عن النبي صلى الله عليه وسلم واجباً كان أو مندوباً ."[٧٥]

قال النووي:

وأول ما يبتدئ به حفظ القرآن العزيز فهو أهم العلوم ، وكان السلف لا يعلمون الحديث والفقه إلَّا لمن حفظ القرآن ، وإذا حفظه فليحذر من الاشتغال عنه بالحديث والفقه وغيرهما اشتغالًا يؤدي إلى نسيان شئ منه ، أو تعريضه للنسيان .[٧٦]

وقال ابن عبد البر:

"طلبُ العلم منازلٌ ورتب، من تَعَدّاها، فقد تَعَدّى سبيل السَّلف ، وأوّلُ العلم: حِفْظُ الكتاب وتفهُّمُه .[٧٧]

وأقول: خُذ هذه همسةً في أُذنك:

لا تنسَ نصيبك من علوم القرآن ، وأهمها تفسيره ، ولو بمعرفة تفسيره بكلمة يسيرة، على هامش الصفحة، اقرأ تفسير الكلمات.

قال الطبري:

"عَجِبتُ لمن يقرأ القرآن، ولا يفهم معانيه، كيف يَلتذ به ؟! [٧٨]

ولا شك في أهمية هذا الباب؛ فإنّ الأصل في القرآن التدبر والفهم ، كما قال تعالى{كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ} [ص: ٢٩]

---

[٧٤] متفق عليه.
[٧٥] انظر: فتح الباري (٤٠/١٣)
[٧٦] انظر: المجموع (٣٨/١)
[٧٧] انظر: جامع بيان العلم وفضله(١٢٩/٢)
[٧٨] نقل ذلك ياقوت في معجم الأدباء(٦٣/٨)

فكيف تتدبّر كلامًا لا تفهمه؟!

***ثم قال المصنف بعد ذلك:**

"ومن العلوم الشرعية، وما يُعين عليها من علوم العربية".

ومن لطيف كلام المصنف: أنه يشير إلى أنّ علوم اللغة العربية ليست غايةً، بل وسيلة تُعينك على الطلب، لقوله:"يعين عليها من علوم العربية".

فـ"النحو" هو استقامة اللّسان من اللَّحن.

احفظ هذه:

علاج اللَّحن لا يكون إلا بالنحو، فإن قيل: وما هو اللّحن؟

فالجواب: أنَّ اللّحن هو الخطأ في الإعراب أو النطق، وتصحيحه لا يكون إلا بتعلم النحو.

وعن حاجب بن سليمان قال:

سمعت وكيعاً يقول أتيتُ الأعمش أسمع منه الحديث، وكنت ربما لحنتُ، فقال لى: يا أبا سفيان: تركتَ ما هو أولى بك من الحديث ، فقلت:

يا أبا محمد، وأي شيء أولى بى من الحديث ؟ فقال النحو ، فأملى علىَّ الأعمشُ النحوَ، ثم أملى علىَّ الحديث .[٧٩]

قال الأصمعي:

"أخشى على طالب العلم الذي يلحن في الحديث أن يدخل في جملة قوله صلى الله عليه وسلم: "من كذب عليّ متعمّدًا فليتبوأ مقعده من النار" .[٨٠]

وكان مما يُلمز به الرُّواة في كتب التراجم أنهم يُلحنون ، كما قال هشيم في ترجمة إسماعيل بن أبي خالد:

"كان إسماعيل فاحش اللحن، وكان يقول: "حدثني فلان عن أبوه".[٨١]

دخل خالد بن صفوان الحمام وفيه رجل مع ابنه فأراد أن يعرف خالدا ما عنده من البيان فقال

---

[٧٩] انظر: مراتب طلب العلم وطرق تحصيله(ص/١١٩)
[٨٠] انظر: التبصرة والتذكرة(١/١١٥)
[٨١] انظر: الكفاية في علم الرواية(ص/١٩٧)

يا بني ابدأ بيداك ورجلاك ، ثم التفت إلى خالد فقال :

يا أبا صفوان ،هذا كلام قد ذهب أهله ، قال :هذا كلام ما خلق الله له أهلاً قط .[٨٢]

لقد أدرك الأئمةُ الأقدمون أهميةَ اللغة العربية في فهم كلام الله سبحانه وتعالى وكلامِ رسوله صلى الله عليه وسلم ، فهذا الإمام الشافعي رحمه الله يقول عنه زوجُ ابنته:

أقام الشافعي علمَ العربية وأيامَ الناس عشرين سنة، فقلنا له في هذا، فقال: " ما أردتُ بهذا إلّا استعانةً للفقه " .[٨٣]

أي: ظلّ لعشرين سنة يتبحّر في اللغة العربية وعلومها ليفقه ويفهمَ القرآن والسنة، ولا يستغرب منه هذا، فهو الذي يقول:

"أصحاب العربية جِنُّ الإنس، يُبصرون ما لم يبصرْ غيرُهم". [٨٤]

قال المصنف: "وينبغي على الطالب أن يسلك أقرب طريق يُوصله إلى المطلوب".

والمعنى:

أنَّ العمر قصير، والعلم كثير، فلابد أن تتعلم كيف تتعلم ،وإلَّا فقد تُمضي سنوات طويلة في الطلب دون أن تُحصّل شيئًا.

لذا فعلى الطالب أن يلزم شيخًا، فالمعلم له دورٌ عظيم في:

١. توفير الوقت

٢. تصحيح الفهم

٣. بركة الطلب

---

[٨٢] انظر: أخبار النحويين(ص/٤٤)

[٨٣] انظر: الفقيه والمتفقه [٢/٤١].

[٨٤] انظر: آداب الشافعي ومناقبه(ص/١٥٠)

مثلًا، إن أردتَ أن تفهم حديثًا، فالمعلم يُعطيك خلاصته، ويُوفّر عليك الوقت، ويُصحّح لك الفهم، فتجد بركة في العمر.

ولا شك أنَّ أصل ضلال الخوارج أنهم ما جلسوا بالرُّكب بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما وجدوا القرآن، فأخذوا منه ما فهموه بعقولهم، فكفّروا الناس، وقتلوا المسلمين.

لذا فتراهم أوتوا من سوء الفهم عن الله تعالى ، والسبب إنما كان لعدم ملازمة الصحابة رضي الله عنهم، والجلوس إلى أهل العلم.

فبركة المعلم عظيمة الدفع ، عالية النفع .

قال يوسف بن أسباط :

كان أبي قدريًا ، وأخوالي روافض، فأنقذني الله تعالى بسفيان الثوري.[٨٥]

تخيّل ، رجل نشأ بين أهل بدع ،لكن الله تعالى نجّاه بفضل معلمٍ على السُّنّة.

قال ابن شوذب :

«إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يؤاخي صاحب سنة يحمله عليها».[٨٦]

فمن عظيم نعمة الله تعالى على الحدَث في بداية طريقه أن يرزقه الله بشيخٍ على السُّنّة يأخذ بيده إلى الاعتقاد الصحيح .

فكم من أناسٍ ضلُّوا حينما أخطؤوا الطريق؟

وكم من طلابٍ نُجَباءَ سقطوا حين أساؤوا البِدَاية؟

نعود إلى كلام المصنِّف، حيث قال:.

إن على طالب العلم أن ينتقي من مصنَّفات الفن الذي يشتغل به أحسنَها، وأوضحَها، وأكثرَها فائدة.

بمعنى:

---

[٨٥] انظر: صحيح مسند ابن الجعد(١٨٠٦) وتاريخ دمشق (٩٦/٨)
[٨٦] انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(٦٦/١)

أيَّ أنَّ الطالبِ بحاجةٍ إلى أن ينتقي من المكتبة الإسلامية ، فاليومَ الأمرُ قد اختلف تمامًا من حيث التحقيق وخدمة الكتب.

للأسف، قد ترى كثيرًا من الدور لا تهتم بالتحقيق ، ولا بذكر النصوص كما قالها أصحابُها.

أمَّا الآن، فالأمر مختلف؛ فهناك طبعاتٌ محقَّقةٌ، منقَّحةٌ، يُقال عنها: "طبعةٌ مزيدةٌ منقَّحةٌ محقَّقةٌ"، فيها فائدة عظيمة، لأنك تستفيد مما هو أعلى السطر، ومما هو في أُسفلها من الفوائد.

لذلك فالطالب عند شراءه للكتب لا بد أن يتأنى في اختيار الكتاب والطبعة والتحقيق.

ومما يُنعم الله تبارك وتعالى به على الطالب: أن يُحسِن اختيارَ الكتاب، والطبعة، والتحقيق.

<u>فائدة:</u>

في مسألة حسنِ الانتقاء الكتب ، أو المتون قد ترى كتابًا أو منظومةً أو متنًا فيه بعضُ الأوهام، ولكن اللهَ تعالى كتب لها القبول، وصار لها الكثير من الشروحات والتطبيقات، وهذا يُفيدك.

مثال ذلك:

ترى متن أبي شجاع في الفقه الشافعي، مثلاً قد خالف المعتمَد في مذهب الشافعي في مسائل عديدة ، بل قد ألَّف "أيمن محمد هاروِش" رسالةً بعنوان: "أبو شجاع: المواطن التي خالف فيها المعتمد عند الشافعية".

ومع ذلك، فقد شُرِح هذا المتن كثيرًا، ونُظِمت عليه منظومات عديدة ، وذاع وانتشر، مع كونه ليس الأفضل، ولكن كتب الله لهما القَبول.

الخلاصة:

أنت كطالب علم، حين تعمل على متنٍ عليه شروحٌ وتعليقاتٌ وتحقيقاتٌ، فهذا أنفع لك، من أن تأتي إلى كتابٍ مهجورٍ، فتقوم على دراسته.

ثم انتقل المصنِّف إلى آدابٍ تتعلَّق بالمعلم، لأن اسم الرسالة:

آداب المعلِّم والمتعلِّم ، فقال:

على المعلِّم أن ينظر إلى ذهن المتعلِّم، وقوَّته، وأوضاعه.

والمعني:

أن يراقب المعلم أذهان المتعلمين، فالعبرة ليست بحضور الأبدان، إنما بحضور الأذهان ؛ فقد يحضر عندك الكثير من الطلاب، لكنهم ما بين منشغلٍ بشاغل، أو نائمٍ، أو غافل.

ولأنَّ هذا العلمَ عظيم، فلا يُعطى لأيِّ أحد؛ ومن تعظيم شعائر الله تعالى ، أن تُحسن – أيها المعلِّم – اختيارَ مَن تُعطيه هذا العلم.

فأنت في أمور الدنيا لا ترضي أن تُعطي جوهرةً لمن لا يستحقُّها،

فكيف بعِلمٍ هو من أعظم ما يُتعبَّد به لله تعالى؟!

لذا يجب على المعلِّم أن يُلاحظ ذهن الطالب، وقُدرته على الفهم، واستقبال ما يُلقى إليه.

فالطلاب درجات: فمنهم المبتدئ، ومنهم المتوسِّط، ومنهم المميز ،

لذا فمن الحكمة أن يعرفَ المعلِّم نوعَ الوعاء الذي يضع فيه علمه ،يعني: أن يعلم مدى فَهْم الطالب، وقُدرته، واستعدادَه الذهني.

فإنَّ هذا من قِلَّة النُّصْح:

أن يُشغِل المعلمُ الطالبَ بكتابٍ لا يُناسب حاله ، بل قد يكون ذلك من الغِش، كما ذكر بعض العلماء.فليس كل ما يُعرف يُقال، ومعنى هذه القاعدة يُستقى من قول أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه :

"حَفِظْتُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وِعَاءَيْنِ: فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَبَثَثْتُهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَلَوْ بَثَثْتُهُ قُطِعَ هَذَا الْبُلْعُومُ"[٨٧] .

فبعض طلاب العلم أقرب للعوام، وقد تأتِيهم مسألةٌ في الصفات، مثلاً ، فلا يفهمها، بل يُنكرها، فتكون أنت مَن حمل إثمَه!

عَنْ عَبد اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَال: قَال رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم أَوْتِرُوا يَا أَصْحَابَ الْقُرْآنِ فَإِنَّ اللَّهَ عز وجل يُحِبُّ الْوِتْرَ فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ مَا يَقُولُ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ لَيْسَ لَكَ، ولَا لأَصْحَابِكَ.[٨٨]

---

[٨٧] أخرجه البخاري(١٢٠)

قال عبد الله بن مسعود – رضي الله عنه –كما في صحيح مسلم:

"ما أنتَ بمُحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم، إلّا كان لبعضهم فتنة".

وترجم له البخاري في صحيحه في : باب من خصَّ بالعلم قومًا دون قوم ؛ كراهية ألا يفهموا.

كذلك روى في بابٍ آخر من كتابه، عن عليٍّ – رضي الله عنه – أنه قال:

《حدِّثوا الناسَ بما يعرفون، أتحبُّون أن يُكذَّبَ اللهُ ورسولُه؟ 》

نقول ذلك لأن بعض الطلاب، بدافع حُبِّهم للخير، لا يُحسنون معرفة: متى يُقال الكلام؟ ولمن يُقال؟، فلكلِّ مقامٍ مقال، ولكلِّ حادثٍ حديث.

واعلم أنَّ هناك فرقًا بين "الدرس المنهجي" و"الدرس المعلوماتي".

فقد يُعجبك الدرس المعلوماتي لكثرة ما فيه من الفوائد والمعلومات،

لكن لا يُفيدك على المدى البعيد إن لم يكن مُنضبطًا بمنهج.

فالدرس المعلوماتي قد يملؤك انبهارًا، وتخرج منه بمعلومات عن الصلاة، والصيام، والزكاة... لكن بدون ترابط أو ترتيب.

أما الدرس المنهجي، فله ضوابط:

١. أن يُناسب مرحلتك العلمية التي أنتَ فيها.

٢. أن تَجلس إليه وأنت قاصدٌ الإفادة، لا تابعًا لكل شيخٍ تسمع عنه.

٣. أن يكون له خطة موضوعية ومنهج واضح.

فائدة:

أركان العلم أربعة ، إن لم تكن جامعًا لها، فأمرك إلى مضيعة !

فرأس مال طالب العلم الحِرْصَ ، والحرص هذا من توفيق الله للطالب.

الأمر الثاني:

المذاكرة، سواءٌ كانت مذاكرة أو مدارسة، مذاكرة الانفراد، أو مُدارسة مع قرينٍ لك.

---

[٨٨] أخرجه أبو داود (١٤١٧)، وابن ماجه (١١٧٠)

الأمر الثالث: الحفظ ، فالعلم يُحفَظ في صدور الذين أوتوا العلم، {بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ} [العنكبوت:٤٩].

الأمر الرابع: الاختبار. فإن سقط ركنٌ منها، فاعلم أن الأمر لا يتم .

قول المصنِّف:

فإن القليلَ الذي يُفهَم ويُؤخَذ، خيرٌ من كثيرٍ هو عُرضةٌ لعدم الفهم والنسيان.

وهذه مسألة مهمة:

وهي أنَّ العبرة ليست بكثرة المسائل، إنما بمسألة أو مسألتين أو ثلاثٍ تفهمها، تُكرِّرها، تُتقنها، تُفرِّع عليها حتى تَرسُخ ، فهذا أكثر بركة من مسائلَ عدَّةٍ جمعتَها وما فَهِمتَها؛ فالعبرة ليست بالكثرة، إنما العبرة بما رسخ في فهمِك وذهنِك.

ودائمًا كان هديُ السَّلف في هذا الباب أنهم يرفقون بالطالب، فلا يُكثرون عليه بالمسائل، بل يُراعون الأحوالَ والأوقاتَ والأزمنة.

بمعني: أنه لا يأتي في زمنٍ قليلٍ ويعطيه مسائل كثيرة ، ويقول: "انتهينا من الكتاب"، هذا انتهاءٌ صُوَري، ما هكذا يكون حال شأن المعلم مع طلابه.

فقد كان من شأن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أن يُكرِّر الكلام على مهل، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أَنَّ النَبيَّ -صلَّى الله عليه وسلَّم- كَان إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلاَثًا حَتَّى تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَى عَلَى قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيهِم سَلَّمَ عَلَيهِم ثَلاَثًا.[٨٩]

فعلى المعلم حينما يُلقي المسائل أن يُراعي مسألة تُسمّى الفُروق الفردية ؛ فليس كلُّ الطلاب في عُمرٍ واحد، ولا في فَهْمٍ واحد، ولا في قُدراتٍ متساوية ، وليست الفُهومُ واحدة، وليست العُقولُ على درجة واحدة.

---

[٨٩] رواه البخاري(٩٥)

وكلذلك مما ينبغي أن يفعله المعلم:

أن يُكثر لطلابه من القواعد، لأنَّ القواعد تلملمُّ شوارِدَ العلوم، وتُسهِّل حفظَها، لذا ترى الأئمة قد اهتموا بنظم القواعد؛ منظومة في الفقه، ومنظومة في الأصول. وكان كثيرٌ منهم إذا أتى إلى متنٍ لأحد السابقين، وضعه في منظومة، مثل "ألفية العراقي"، أو "المنظومة البيقونية"، هذه المنظومات يُسهل على الطلاب أن يحفظوها، فتجمع لهم شَتاتَ المسائل.

ومن الخطأ هنا أن بعض الطلاب حين يأتيه المعلم برسالة صغيرة، ترى الطالب يستقلُّها، وهذا من جهل الطالب.

ولذلك كان من السلف من إذا رأى أنَّ بعض طلبته كأنه يستقلون برسالة ما ، فكان يُلقي عليهم مسائل فيها صعوبة ليُعرَف قَدرُهم، فيقول له: "أنتَ تستقل؟ خُذ هذه المسألة!"، فيقف عند حدِّه.

قال المصنف : "فلا يُنتَقَل من نوعٍ إلى نوعٍ من أنواع المسائل"،

ولا ينتَقَل بالطلاب بين المسائل انتقالاً سريعاً، بل إذا أردت أن تُنقِلَه، فلابد أن تتدرج معه في المنهج.

في العقيدة: ابدأ بـ"الأصول الثلاثة"،كمثال ثم "القواعد الأربع"، ثم "كتاب التوحيد"، ثم "الواسطية"، ثم "الطحاوية".

وفي الفقه مثلًا: لو كنت على مذهب الحنابلة، فابدأ بـ"عمدة الفقه" لابن قدامة، ثم "المقنع"، ثم "الكافي"، ثم "المغني".

أما أن يأتي الطالب وهو لا يزال في البدايات، فيقرأ "المغني" مباشرة، فهذا خَطَأٌ بَيِّن ، فحالك هما كحال من يريد أن يصعد إلى سطح البناية، وهو لم يجلس في أول درجة من درجاتها!

أين "عمدة الفقه"؟ أين "المقنع"؟ هل انتهيت منهما؟ هل أنهيت "الكافي"؟ حتى تَصعَد إلى "المغني"؟

وفي أصول الفقه: ابدأ بـ"الورقات"، ثم "الروضة"، ثم "المستصفى"، ثم إلى المطولات.

إن الصغيرَ إذا أُعطِي طعامًا لا يُناسبُه، قد يتضرر، فكيف إذا قُدِّم له طعامٌ كبيرٌ ثَقيل؟!

<u>فائدة:</u>

لا شك أنَّ طريق الطلب ليس بالسهل اليسير ، بل هو طريق وعر ، يحالج إلى صبر ومصابرة.

قال السُّبكي:

"وَالْعِلْمُ صَعْبٌ لَا يُنَالُ بِالْهُوَيْنَا، وَلَيْسَتْ كُلُّ الطِّبَاعِ تَقْبَلُهُ، بَلْ مِنْ النَّاسِ مَنْ يَشْتَغِلُ عُمْرَهُ وَلَا يَنَالُ مِنْهُ شَيْئًا، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُفْتَحُ عَلَيْهِ فِي مُدَّةٍ يَسِيرَةٍ، وَهُوَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ". ".[٩٠]

فالعلمُ فيه صعوبة، ولو كان سهلًا، لكثُرَ سالكوه ، لكنَّ الأمر كما قال الله

{وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ} [القصص: ٦٨].

والصبر في طريق العلم نوعان:

١. صبر الطالب على طلب العلم.

٢. صبر المعلم على الطالب.

نبدأ بصبر الطالب، وله نوعان:

صبرُ الطالبِ على وُعُورةِ العِلم ،وصبرُه على وُعُورةِ المعلِّم.

فأنتَ كطالبٍ مأمورٌ بالصبر ، كما في قول موسى عليه السلام:{سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا} [الكهف: ٦٩].

لو أن كل طالبٍ تعامل مع مُعلّمه بهذا النهج، لاستفاد منه كثيرًا ، فهذه الآية أصلٌ في صبر الطالب على طلب العلم.

---

[٩٠] انظر: فتاوى السبكي(٤٩٩/١)

فنقول: العلمُ فيه مشقة، ويحتاج إلى صبرٍ، وتضرعٍ، وصدق اللجوء إلى الله، وهضم حظ النفس ، فإذا رأيتَ نفسك، فهذه بدايةُ السقوط.

إياك أن تعتمد على حولك وقوتك، بل على حول الله تعالى وقوته.

كان شيخ الإسلام ابن تيمية كما نقل ذلك ابن القيم: "إذا أُشكلت عليه مسألة، كان يترب وجهه في التراب، ويقول: ﴿يا معلّمَ إبراهيمَ علِّمني، ويا مُفهِّمَ سليمانَ فهِّمني﴾ "، فلم يلبث أن يُفتَح عليه.

وقال ابن القيم عن شيخه ابن تيمية:

"إنه إذا أشكلت عليه مسألة، استغفر الله ألفَ مرة، أو أكثر، فيُفتَح عليه".

فإنَّ الاستغفار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم من أعظم أسباب الفتح في العلم.

فالعلم ليس بالأمر السهل، بل فيه مشقّة، وقد قيل: "إنّ الطريق طويل، ولكن العاقبة عظيمة"، فالحَجَر والشَّجر والحُوت في البحر يستغفرون لمعلِّم الناس الخير.

فكيف يحصّل المرء العلم؟

يُحصَل عليه بالدعاء، والتضرّع، واللجوء إلى الله تبارك وتعالى. ومتى ما ذاق الإنسان طَعم لذّة العلم في طاعة الله، رُفِع شأنه.

ثانيًا: تقوى الله

العلم والتقوى متلازمان، قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر:٢٨]،وقال تعالى (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا) فكلّما زاد علم الإنسان زادت تقواه، والعكس كذلك.

ومن القصص المشهورة – وإن كانت ضعيفة – ما يُروى عن الشافعي رحمه الله أنه قال:

《شكوتُ إلى وكيعٍ سوءَ حفظي *** فأرشدني إلى تركِ المعاصي

وأخبرني بأنّ العلمَ نورٌ *** ونورُ الله لا يُهدى لعاصي》

وهذا خبر ضعيف، لا يصح عن الشافعي، والصواب أنه من قول "علي بن خُشرُم" كما في "سير أعلام النبلاء".

التحقيق العلمي للقصة:

القصة نُسبت إلى الإمام الشافعي، لكن التحقيق يدل على أنها لعلي بن خُشرُم، أحد طلاب وكيع بن الجراح، حيث قال:

مَا رَأَيْتُ بِيَدِ وَكِيْعٍ كِتَاباً قَطُّ، إِنَّمَا هُوَ حِفْظٌ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ أَدوِيَةِ الحِفْظِ ، فَقَالَ: إِنْ عَلَّمْتُكَ الدَّوَاءَ، اسْتَعْمَلْتَه؟ قُلْتُ: إِيْ وَاللهِ ، قَالَ: تَرْكُ المَعَاصِي، مَا جَرَّبْتُ مِثْلَهُ لِلْحِفْظِ. "[٩١]

النوع الثاني: الصبر على المعلم:

وكما أن على الطالب الصبر على مشقة العلم، فعليه أيضًا الصبر على طريقة معلمه، والتلطف معه، وخفض الجناح له ، والتماس أنسب أوقات حين يسأل معلمه.

فهه سنة السلف مع علمائهم ، وكبرائهم ، ووقائع ذلك كثيرة، ومن ذلك ما رواه البخاري:

أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما قال :

لم أزل حريصاً على أن أسأل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن المرأتين اللتين قال الله فيهما:

{إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا} [التحريم:٤]، ونقل عنه أيضاً في كتاب التفسير قال: ظللت سنة أريد أن أسأل أمير المؤمنين عن ذلك ،قال: حتى حج وحججت معه ،و(عدل) أي: ترك الطريق ليقضي حاجته، وَعَدَلَ وَعَدَلْتُ مَعَهُ بِإِدَاوَةٍ فَتَبَرَّزَ، ثُمَّ جَاءَ فَسَكَبْتُ عَلَى يَدَيْهِ مِنْهَا فَتَوَضَّأَ، فَقُلْتُ لَهُ:

---

[٩١] انظر: سير أعلام النبلاء(٩/١٥١)

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَنِ الْمَرْأَتَانِ مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، اللَّتَانِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا}

ففي هذا دليل على استحباب أن يلتمس التلميذ خلوات العالم ليسأله.

وهذا أدب ينبغي أن يتحلى به طالب العلم، وليس كلما ظهر له سؤال جاء وسأله، فهذا ليس من الأدب، إنما ينبغي عليه أن ينظر إلى خلواته، فإذا رآه وحده، أو رآه منبسطاً، أقبل عليه وسأله، وهذا الذي فعله ابن عباس، لبث سنة كاملة يريد أن يتحين فرصة يختلي بـ عمر ليسأله هذا السؤال.

وذلك لأنَّ الهجوم المستمر على الشيخ يضجِّره من التلميذ، فلذلك ينبغي لطالب العلم أن يلتمس خلوات العالم، فيسأله، ولا مانع حتى يرقق قلبه عليه أن يخدمه بشيء يسير خدمة بين يدي السؤال، مثلما فعل ابن عباس رضي الله عنهما حين حمل الإبريق لعمر رضي الله عنه ومشى خلفه، وانتظر حتى قضى حاجته، ثم سأله السؤال، وهذا يدلّ على أن الطالب لا بد أن يراعي هيبة شيخه، ويُحسن اختيار الزمان والمكان للسؤال.

وقال أيوب السختياني: كان الرجل يجلس إلى الحسن البصري ثلاث سنين فلا يسأله عن شيء هيبة له،[٩٢] وهذا ابن حِبّان الذي كان ملازمًا لشيخه ابن خُزَيْمة سفرًا وحضرًا، لا يتركه ليلًا ولا نهارًا ، وفي إحدى أسفاره سأله ابن حبان عن مسألة، فقال له ابن خُزيمة: "تَنَحَّ عني يا بارد!" فكتبها ابن حبان ، فسُئل: "أتكتب هذا؟"، قال: "لا يلفظ شيخي لفظًا إلا كتبته".[٩٣]

وأخرج الخطيب في كتابه " شرف أصحاب الحديث" (ص/١٣٤:)

بسند فيه ضعف أنَّ الأعمش كان له كلب، يؤذي طلاب الحديث ، فجاءوه يوماً، وقد مات الكلب، فهجموا عليه ، فلما رآهم بكى، ثم قال: هلك من كان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. (إسناده ضعيف).

---

[٩٢] انظر: فتح المغيث (٢٦٨/٣)
[٩٣] انظر: معجم البلدان (٤١٩/١)

وفي رواية أيضاً ضعيفة قال الأعمش: لَوْ كَانَتْ لِي أَكْلُبٌ، كُنْتُ أُرْسِلُهَا عَلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ.[٩٤]

وكان ابن جُريج قد لازم عطاء بن أبي رباح عشرين سنة، فاستخرج منه علمًا يُحمَل على الجبال ، وسرّ فوز ابن جريج بذلك ذكاؤه، ورغبته في خلوات شيخه، واغتنام صفاء الذهن عند شيخه .

وما زال الحديث عن صبر المتعلّم على شيخه:

الإمام نافع كان شديدًا، ضيّق الخُلق، سريع الغضب ،فلم يحسن التعامل معه إلا مالك ؛ فقد كان مالك إذا جاء عند بيت نافع، جلس ينتظر، فإذا خرج للصلاة، مشى بجانبه، وكأنّما يتمشّى معه حتى إذا اقترب من المسجد، سأله.

أما ابن أبي أُويس فلم يظهر له من نافع علم كثير، لأنه لم يصبر على شدّته ، أما مالك، فلزمه، فارتفع.

ولكن الأصل أن يكون المعلم ليّن الجانب، سهل الطباع

ولا يُبرّر للمعلم أن يكون شديدًا دائمًا، بل عليه أن يراعي حال طلابه، صبر المعلم أيضًا مهم، وله ثلاثة أنواع:

١. صبر المعلم على جهل الطالب.

٢. صبر المعلم على سوء خُلُق الطالب.

٣. صبر المعلم على سوء فَهم الطالب

فقد يبتلى المعلم بطالبٍ كثير الجهل، أو سيّئ الخُلق، أو ضعيف الفهم.

فلا ينبغي للمعلم أن يُهين الطالب أو يُحبطه، بل يصبر عليه.

مثال ذلك:

---

[٩٤] انظر: شرف أصحاب الحديث(ص/١٣٥)

كان الربيع بن سليمان تلميذ الإمام الشافعي بطيء الفهم ، وكان قد ذكر له الشافعي مسألة أربعين مرة، ولم يفهمها، فقام حياءً من المجلس ،فلما انصرف الناس، دعاه الشافعي وشرح له المسألة حتى فَهِمهما.

قال السبكي:

قَالَ الْقفال فى فَتَاوِيهِ :كَانَ الرّبيع بطئ الْفَهم فكرر الشافعى عَلَيْهِ مَسْأَلَة وَاحِدَة أَرْبَعِينَ مرّة فَلم يفهم ، وَقَامَ من الْمجْلس حَيَاء فَدَعَاهُ الشافعى فى خلْوَة وَكرر عَلَيْهِ حَتَّى فهم ، وَقَالَ لَهُ يَوْمًا :

"يَا ربيع ، لَو أمكننى أَن أطعمك الْعلم لأطعمتك". [٩٥]

وهذا من أبلغ صور الرحمة في التعليم، ومن أعظم آداب المعلّم.

*نقول: من أنفع الثمرات صبر المعلّم على المتعلّم ، ولِمَ لا؟ ولمَ لا يصبر المعلّم على طلابه؟!

فالعِلم رحمٌ بين أهله، وإذا كان {أُوْلُوا ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ} [سورة الأنفال:٧٥]، فمن باب أولى أن يكون أهل العلم بعضهم أولى ببعض.

بل إن رحم العلم تُقدّم على رحم النسب، فأبوك قام على بدنك، وأمّا معلّمك فقد قام على قلبك ، ومدار حياة الإنسان على قلبه، لا على بدنه، قال تعالى: {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ} [الحج:٤٦].

قال الشاعر – وصدق:

أفضلُ أستاذي على فضل والدي.....وإنْ نالني مِن والدي الشرفُ والمجدُ

فهذا مُربّي الروح، والروحُ جوهرٌ ..وذاك مرَبى الجسم، والجسمُ كالصدف

فالعِلم رحمٌ بين المعلّم والطالب.

---

[٩٥] انظر: طبقات الشافعية الكبرى(١٣٤/٢)

اقرأوا إن شئتم {ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ} [الأحزاب:٦]، قال المفسرون: هو أبٌ لهم في الدين.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قال : " إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ مِثْلُ الْوَالِدِ".[٩٦]

قال الإمام النووي:

أئمتنا وأسلافنا، كالوالدين لنا، وأجدى علينا فى مصالح آخرتنا التى هى دار قرارنا، وأنصح لنا فيما هو أعود علينا، فيقبح بنا أن نجهلهم وأن نهمل معرفتهم.[٩٧]

وهذا تعبير عن مكانة العلماء وتقديرهم، حيث يعتبرهم الإمام النووي بمنزلة الآباء في الدين، لفضلهم وعلمهم وهدايتهم، فعلينا أن نتأمّل صبر المعلّم، وتحمّله جهل طلابه، وسوء خُلُقهم، وضعف فَهمهم.

كم صبر الإمام الشافعي على تلميذه الربيع بن سليمان، وقد أعاد عليه المسألة أربعين مرة، ولم يتضجر، بل لم يَكِلّ، ولم يملّ ، وكان الشافعي منشغلاً بالتصنيف، والفتاوى، والمسائل، ومع ذلك خلا به حتى أفَهِمه المسألة.

فأشدّ ما يُؤلم، وأعظم ما يكسر، أن يقول المعلم لطالبه :"يا فلان، ليس لك في هذا الباب!" ، فهذا ذبحٌ بغير سكين، ولو أن يَسكت عنه، خيرٌ من أن يقول له ذلك.

والنوع الثاني من الصبر: صبر المعلم على جهل الطالب.

وقد كان لنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسوة حسنة في هذا الباب، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ:

« بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ:

---

[٩٦] أخرجه أحمد (٧٣٦٨)وسنده صحيح.

[٩٧] انظر: تهذيب الأسماء واللغات(١١/١)

وَاثُكْلَ أُمِّيَاهْ مَا شَأْنُكُمْ؟ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ ! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِم ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي، لَكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ ، مَا كَهَرَنِي ، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي.[٩٨]

وانظر إلى حديث الأعرابي الذي بال في المسجد، فلو أنَّ رجلًا فعل ذلك اليوم، لدفنوه في مكانه! ومع ذلك فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لم يُعنّف، الرجلَ، بل رفق به، وعلَّمه ما لم يكن يعلم ، وقال له صلى الله عليه وسلم : " إِنَّ هَذِهِ الْمَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيْءٍ مِنْ هَذَا الْبَوْلِ وَلَا الْقَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ عز وجل وَالصَّلَاةِ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ".[٩٩]

قال النووي :

ينبغي على المعلِّم أن يشفق على الطالب ،ويعتني بمصالحه كاعتنائه بمصالح ولده ومصالح نفسه ، ويجري المتعلمَ مجرى ولده في الشفقة عليه والصبر على جفائه وسوء أدبه ، ويعذره في قلة أدبه في بعض الأحيان فإن الإنسان معرض للنقائص ،لا سيَّما إن كان صغير السن.[١٠٠]

وقد يُبتلى المعلم بطالبٍ لا يعرف قدر شيخه، فإذا انتصر الشيخ لنفسه، سقط الطالب.

لكننا نحتاج اليوم إلى كثير من الأدب أكثر من حاجتنا إلى كثير من العِلم.

قد يكون المعلم بين طالبين:

– أحدهما نجيب، قوي الفهم، لكن فيه جَفاء،

– والآخر ضعيف الفهم، لكنه حسن الخُلق، يعرف قَدْر شيخه.

فيميل قلب المعلّم إلى الثاني.

---

[٩٨] أخرجه مسلم(٥٣٧)

[٩٩] متفق عليه ، واللفظ لمسلم.

[١٠٠] انظر: التبيان في آداب حملة القرآن(ص/٤٠)

فعلى المعلم أن يصبر على طلابه ، كما صبر النبي صلى الله عليه وسلم على جفاء الأعراب ، ولنا فيه صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة.

ومن وقائع ذلك :

ما رواه عَبْد اللَّهِ بنُ مسعود رضي الله عنه قَالَ:

لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَيْنٍ آثَرَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم نَاسًا، أَعْطَى الْأَقْرَعَ مِائَةً مِنَ الْإِبِلِ، وَأَعْطَى عُيَيْنَةَ مِثْلَ ذَلِكَ، وَأَعْطَى نَاسًا، فَقَالَ رَجُلٌ:

مَا أُرِيدَ بِهَذِهِ الْقِسْمَةِ وَجْهُ اللَّهِ، فَقُلْتُ: لَأُخْبِرَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فقَالَ صلى الله عليه وسلم : (رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ).[١٠١]

وقال المصنف:

إن للمتعلّم حقًا على المعلّم، لأنه أقبل على علمٍ ينفعه وينفع الناس،

لا شك أن من أعظم الأرزاق للمعلم أن يُرزق طالبًا يحمل عنه العلم.

نقل ابن أبي خيثمة في "تاريخه" عن رجل من التابعين قال:

"في صدري عشرة علوم، لم يسألني عنها أحدا!"، لقد رُزق هذا الشيخ بالعلم، ولكنه لم يُرزق بمن يحمل عنه.

وجاء عن بعض السلف – ويُقال إنه سفيان الثوري – أنه دخل مكة، فما جاءه أحد، فتعلّق بأستار الكعبة وقال:"يا رب، بأي ذنب لم أسأل ؟

إذاً، فالمعلّم لا بد أن يعلم أن من أعظم الأرزاق أن يُرزق بطالبٍ يحمل عنه العلم، وأن يُؤتى بطلابٍ نجباء، أوفياء، أنقياء.

فالطالب النجيب: يفهم، والوفي: يحفظ حق شيخه،

والناصح: يحرص على نصح شيخه في لطفٍ وأدب.

فهذه ثلاثة أركان عظيمة:

---

[١٠١] متفق عليه.

نجابة، وفاء، نصح، وهي خير ما يُرزق به المعلّم في طلابه.

نعود فنقول: الطلاب رزق.

فكم من عالمٍ رفعه طلابه، وكم من عالمٍ ضيّعه طلابه!

قال الشافعي : «الليث» أفقه من مالك ، إلا أن أصحابه لم يقوموا به.[١٠٢]

قال يحيى بن بكير: الليث أفقه من مالك، ولكن الحظوة لمالك.[١٠٣]

فإن سألتَ : ما السبب؟

أولًا: توفيق الله تبارك وتعالى. وثانيًا: الطلاب.

فالليث بن سعد بشهادة الأئمة كالإمام الشافعي – وكفى بها شهادة – كان أفقه من مالك، ومع ذلك لم ينتشر مذهب الليث ، لأن الإمام مالك نجم العلم قد رزق بطلاب نشروا علمه في الآفاق، أما الليث فلم يُرزق بطلاب يحملون علمه إلى الناس.

فالأرض اليوم امتلأت بمذهب مالك، في حين لا يوجد أثر لمذهب الليث. السبب: لم يحمله طلابه.

الطلاب رزق، وهم حياة للمعلم بعد موته، لذلك فإن المعلم أشد حاجة إلى الطالب من حاجة الطالب إليه، فالطالب قد يتعلم من غيرك، أما أنت – أيها المعلم – فلا ينتفع بعلمك إلا إذا حمله عنك طلابك.

وتأمل في يحيي بن منده ، وهو يقدر دور الطالب في حياة معلمه ، فإنه لمَّا قريء عليه قول شعبة: " من كتبتُ عنه حديثاً فأنا له عبد" ، علق قائلاً : " من كتب عني حديثا فأنا له عبد".[١٠٤]

فلذلك كان بعضهم يدعو ويقول: اللهم اجعل علمي حجةً لي ، لا عليَّ، واجعل أفئدةً من الناس تهوي إليّ.

---

[١٠٢] انظر: مناقب الشافعي للبيهقي(ص/٥٢٤)
[١٠٣] انظر: مختصر تاريخ دمشق(٢٤٩/٢١)
[١٠٤] انظر: سير أعلام النبلاء(٣٥٠/١٨)

فإذا مالت القلوب إليك، وسعى الناس لتلقي علمك، فإنك على نور، وعلمك ينتشر، والفضل في ذلك لله وحده.

لكن هذا لا يتوقف على الأسباب المادية فقط، بل هو رزق من السماء.

فكم من معلم رفعه طلابه؟ وكم من معلم آخر وضعه طلابه؟!

تأمل في شأن الإمام أحمد ، فأمره عجيب ؛ فإنَّ الإمام أحمد لم نجد له قلمًا في الفقه إلَّا رسالة يسيرة ، حيث صنَّف رسالة يسيرة في فقه الصلاة، كتبها حين رأى رجلاً يصلي صلاة غير صحيحة، فألف في ذلك رسالة.

لكنَّ جل علمه وأقواله و فتاويه جاءت من تجميع طلابه، مثل:

مسائل ابن هانئ، مسائل المروذي، وغيرهم. حتى لا تكاد تجد مسألة فقهية إلا ولأحمد فيها رواية أو روايتان أو ثلاث.

فمن الذي نقل علمه؟ إنهم طلابه.

قال المصنف:

وهذه تجارة بمثلها يتنافس الموفقون.

نعم، طلب العلم تجارة عظيمة، حين يحتسب المرء نفسه في نشر العلم والحق والدعوة إلى الله.

وتأمل قوله تعالى:{وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ} [الشرح: ٤] فكل من صار على درب النبي صلى الله عليه وسلم في نشر العلم ، فله نصيب من هذه الآية.

وكم من عالمٍ رفع الله ذِكره بين الناس، بينما لا يُذكر من كان أغنى أغنياء زمانه.

تأمّل في عصر الإمام الشافعي ، لا أحد يذكر أغنياء ذلك العصر، لكن بقي اسم الشافعي وبقي علمه، وهكذا في كل عصر؛ يبقى ذِكر العلماء ، ويذهب ذِكر غيرهم .

وكذلك قال تعالى :

{يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ} [المائدة: ٦٧]

فبقدر ما يبلّغ العبد دين الله تعالى بإخلاص بقدر ما يعصمه الله تعالى من كل سوء وأذى .

ونظير ذلك قوله تعالى : {أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ} [الزمر: ٣٦]

فعلى قدر تحقيقك للعبودية، يكفيك الله تعالى كل ما أهمك.

قال المصنِّف: "على المعلّم أن يسعى سعيًا شديدًا في إيجاد هذه التجارة (أي: تعليم العلم)، وفي تنميتها"، فهي تجارته الحقيقية، وهي من عمله وآثاره، كما قال الله تعالى:

{إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَـٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ} [يس: ١٢].

فيا أيها المعلم، ما تنشره من علم هو من آثارك الباقية بعد موتك ، وبقدر ما تخلص فيه بقدر ما يزكو ويبقي في الناس.

مثالٌ من التاريخ:

حينما همّ الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أن يحمل الناس على "الموطأ" ليكون هو المرجع الرسمي للدولة، رفض الإمام مالك ذلك؛ وقال: إن الناس قد اختلفوا، وتفرّقوا في البلدان، ولكل قومٍ عُلماؤهم.

فما كان ذلك من الإمام مالك إلا تواضعًا وإخلاصًا ، فما كان من الشكور سبحانه إلا أن نشر علم مالك وموطئه بين الناس.

مثالٌ آخر على الإخلاص في العلم:

كتاب فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني.

هل تعلم كم كتابًا شُرح به صحيح البخاري؟

أكثر من ثمانين شرحًا من علماء كبار، لكن حين يُقال لك: "هل قرأت شرح صحيح البخاري؟" فإن ذهنك ينصرف مباشرة إلى فتح الباري.

وهذا من دلائل قبول الله تعالى لهذا العمل، وتميّزه بالعلم والإخلاص، لذا قال الشوكاني حينما سُئل: ألا تشرح البخاري؟ قال: لا هِجرة بعد الفتح!، يقصد: فتح الباري.

قال المصنِّف وهو يتوجَّه بالكلام إلى المُعلِّم: يُراقب مُتعلِّمه بكلِّ طريق، ولا يَمَلُّ اشتغاله بما يَعثُر عليه فهمه من أنواع العلوم ومفرَداتها بالمعنى.

ومعنى الكلام: أنَّ المعلِّم لا يَثبُت على شرحِه على طريقةٍ واحدة، بل من فقه إيصال العلم أن يُنوِّع المعلِّم في وسائله حينما يَشرح ما يُريده للطالب؛ فإنَّ للتَّنويع فائدة مهمة ، إذ إنَّ التَّنويع يَدفَع المَلل.

ولنا في رسول الله صلى الله عليه وسلم أُسوةٌ حسنة؛ فإنَّ الذي يستقريء هدي النبيِّ صلى الله عليه وسلم في تعليمِه لأصحابه رضي الله عنهم لا يَرى مسلَكًا واحدًا ولا طريقةً واحدة، بل كان صلى الله عليه وسلم يُنوِّع في طريقة إيصال العلم.

فمن ذلك مثلًا:

كان صلى الله عليه وسلم كثيرًا ما يَطرح على أصحابه رضي الله عنهم أسئلةً، فقال لأُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه يومًا: ﴿أتدري أيُّ آيةٍ معك أعظم؟﴾ ، وقال يومًا لأصحابه رضي الله عنهم: ﴿أتدرون مَن المفلس؟﴾ ، وقال أيضًا:أتدرون أين تذهب الشمس؟

فإنَّ طَرح المعلومة إذا أتت مباشرةً قد تُنسى، بخلاف ما إذا طُرحت عبر سؤال؛ فالمعلِّم حينما يُهيِّج أذهان وأفكار السامعين، ويُوقِظ عُقولهم ونُفوسهم من الكسل والانشغال، فيُعزِّز ذلك انتباههم للسَّماع والفهم.

ومن سنن التعليم أيضًا: التعليم بالرسم:

عن عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ:

" هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا "، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ "، ثُمَّ قَرَأَ: {وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ} [١٠٥]

وكان بإمكانه صلى الله عليه وسلم أن يقول ذلك باللفظ، ولكنَّه آثر الرَّسم لشحذ الهمم ، ولإفهام الأذهان.

كذلك من طرائق التعليم: التعليم بالقِصَّة، وهو من أكثر ما نجده في هدي النبي صلى الله عليه وسلم ، كقصص بني إسرائيل ، وغيرهم.

ومن طرائق التعليم أيضًا: التعليم بالموقِف.

عَنْ جَرِيرِ رضي الله عنه قَالَ:

كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَنَظَرَ إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي الْبَدْرَ - فَقَالَ:

(إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لَا تُغْلَبُوا عَلَى صَلَاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا) ، ثُمَّ قَرَأَ: {وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ}. [١٠٦]

وكان بإمكان النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أن يقول : "سترون ربَّكم"، ولكنَّه قال: "انظروا إلى القمر"؛ ليُقرِّب المعنى ويُرسِّخه.

أيضًا من طُرُق التعليم:

ضرب الأمثلة، كحديث الجليس الصالح والجليس السُّوء، وحديث الأُتْرُجَّة.

ومنها التعليم بالإشارة، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «أنا وكافل اليتيم في الجنة كهاتين" ، وأشار بالسبابة والوسطى [رواه البخاري].

قال المصنِّف:

---

[١٠٥] أخرجه أحمد(٤٤٣٧) إسناده حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود.

[١٠٦] متفق عليه.

" إِنَّ مُعَلِّمَ الخَيرِ قَدْ اسْتَعَدَّ لِنَفْعِ الخَلْقِ بِتَعْلِيمِهِ وَفَتْوَاهُ، فَحَقُّهُ عَلَى النَّاسِ حَقُّ المُحْسِنِينَ، وَلَا إِحْسَانَ أَعْظَمَ وَأَنْفَعَ مِنْ إِحْسَانِ مَنْ يُرْشِدُ النَّاسَ لِأَمْرِ دِينِهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ مَا جَهِلُوا وَيُنَبِّهُهُمْ لِمَا غَفَلُوا ، وَيَحْصُلُ بِسَبَبِ ذَلِكَ مِنَ الخَيْرِ، وَانْقِمَاعِ الشَّرِّ وَنَشْرِ الدِّينِ وَالمَعَارِفِ النَّافِعَةِ ، مَا هُوَ أَنْفَعُ شَيْءٍ لِلْمَوْجُودِينَ وَمَنْ أَتَى مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ ذُرِّيَتِهِمْ وَغَيْرِهِمْ).

ثم قال المصنِّف:

"فلولا العلم، كان الناس كالبهائم في ظلمة، يتخبَّطون، وفي غيهم يَعمَهون".

وهذه العبارة في كلام المصنف : "لولا العلم، كان الناس كالبهائم" ،

مما رويت عن الحسن البصري، والي قيل أنَّ كلامه كان يُشبَّه كلام الأنبياء.[١٠٧]

قال الحسن البصري:

لولا الصالحون لفسدت الأرض، ولولا العلماء لكان الناس كالبهائم، ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضًا.

ومعنى الكلام وتوجيهه: "لولا العلم، أو لولا العلماء، لكان الناس كالبهائم".

أنَّ دور المعلم يقوم على التهذيب، والتأديب، والإصلاح ،فالمعلِّم يُربِّي أنفس المتعلمين ويُنقِّيها من وَحل الشهوات والشُّبُهات.

فانظر – يرحمك الله – إلى أهل الكتاب، لمّا جعلوا العلم ظهريًّا وتخلّفوا عن ركن العلم ، صاروا ما تركون شيئًا من الفتن إلا ركبوه.

وانظر إلى الغرب الآن، لما كفروا بالعلم، فصاروا – حقًّا – كالبهائم، بل البهائم خيرٌ منهم.

فالعالِم يقوم على تَزكية الأنفس، اقتداءً بالنبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

---

[١٠٧] ويُقال: إن من أسباب التوفيق في عِباراتِه وكلماته، أنه رَضَع في بيت أم سَلَمة، رضي الله عنها، زوج النبي صلى الله عليه وسلم، وكانت أُمُّه خادمةً عندها، فرَضَع من بيت النبوَّة.

{لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ} (آل عمران: ١٦٤].

فالمعلِّم يقوم على أمرين: التبليغ، والتزكية ، فيعمل على التخلية والتحلية.

أدبٌ بلا علم ، فقد يَأتي بالبِدَع؛ قد ترى صاحبَه مُؤدَّبًا نعم، ولكنه مُبتدع.

وعِلمٌ بلا أدب، يجعل المرء ينفِر من صاحبِه؛ بل يكون العِلم حُجَّةً عليه لا له.

فالتربية والتزكية أمران عظيمان، ولذلك نُنصَح الطلَبَة أن تلازِم الكتب التي تربي وتُزكِّي القلوب، ومنها:

منهاج القاصدين لابن الجوزي ، وهو اختصار لإحياء علوم الدين للغزالي) ، الداء والدواء لابن القيم ، المجلدان العاشر والحادي عشر من مجموع الفتاوى لابن تيمية ، ورسائل ابن رجب ، ومدارج السالكين لابن القيم.

فهذه كلها كُتب نافعة تُطهِّر القلب، وتُوقِظه من الغفلة ،كُتب تغسل القلب من الران ، فالقلب يَحتاج إلى غَسل؛ لأن الغفلة، والذنوب، والمعاصي، تَعلوه.

وخذ هذه الأبيات من نظم الفقير إلى الله:

والنَّفْسُ إذا هَذبتْهَا رَقَّتْ بِكَ عن مَزَابِلِ الشَّهَواتِ

فَقُمْ بِهَا ، وَقَوِّمْهَا تَفُزْ ** نَجَاةً مِنْ حَبَائِلِ الْخَلَوَاتِ.

فلابد من محاسبة النفس، وقد جاء أصل ذلك في كتاب الله تعالى، في آية تُعد أصلٌ في محاسبة النفس.، وهي قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ} [الحشر: ١٨].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "من أذلَّ نفسَه لله، أعزَّها".

فمن أذلَّ نفسَه وكسر جموحها، فهو في الحقيقة لا يُذلُّها، بل يُعزُّها بطاعة الله عزوجل.

وقال ابن الجوزي: "أعظم الجهاد: جهاد النفس ".

فإذا ما سأل سائل عن أنفع علاج لشهوات النفس نقول:

أولًا: القرآن الكريم

فالقرآن هو خير ما يُزكِّي النفس؛ قال تعالى:

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ} [سورة يونس: ٥٧].

ولو تأملت، لن تجد آيةً وصف الله فيها القرآن بأنه "دواء"، بل كل الآيات وصفته بأنه شفاء.

والفرق بين "الدواء" و"الشفاء" أن الدواء قد ينفع وقد لا ينفع، أما الشفاء فهو حاصل وواقع لا محالة .

إذًا، القرآن ليس مجرّد دواء، بل هو شفاء، شفاءٌ لما في الصدور من شهوات وشبهات.

ثانيًا: مجالس العلم:

فبها يرقى المرء في درجات التخلّص من الشهوات؛ فالشهوة تعصِر القلب، وتُذهِب العقل.

وما يُسمّى بـ"السُّكر" في العشق والشهوة، قد يكون أشد نكاية في القلب من سُكر الخمر ؛ فإنَّ الذي سَكِر بالخمر قد يَفيق، أما الذي سَكر بالشهوة قد لا يفيق إلا أن يشاء الله.

والحُب إذا صار عشقًا، غيّب العقل؛ ولذلك فرقٌ بين الحب والعشق:

الحب عذب ، والعشق عذاب.

الحُب لم يُذكَر في القرآن إلا بين الزوجين، كما قال تعالى:

{وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم: ٢١].

ثالثًا: من سبل علاج تزكية النفس : الترغيب:

وهذا كثيرٌ في القرآن، كما قال تعالى:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن: ٤٦].

وعندما ذكر الله تعالى ذمّ الشهوات في قوله تعالى{زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ} ،قال بعدها {قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ} [آل عمران: ١٥].

رابعًا: **من سبل علاج نزكية النفس** :الترهيب:

بعض النفوس لا ينفع معها الترغيب، فتحتاج إلى التخويف، وهذه تراه كثيراً في مدرسة القرآن ،مثل قوله تعالى:

{فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا} [مريم: ٥٩].

ثم أورد المصنِّف كلامًا مهمًّا:

قال: "البلد الذي ليس فيه من يُبيِّن للناس أمر دينهم ويرشدهم لما ينتابهم، فهم مُضطرّون إليه، لا خير في الإقامة فيها".

ومثل هذا الكلام منقول عن جماعة من السلف؛ أنه يتعيّن على المسلم أن يُهاجر إلى بلدٍ يتعلّم فيها السنّة، وأن يهجر الأرض التي تغلب فيها البدعة.

وقد نقل عن الإمام الشافعي أنه قال : "لا تسكنْ بلدة لا يكون فيها عالمٌ ينبئُك عن دينك ".[١٠٨]

---

[١٠٨] انظر: المناقب (٢/ ١١٥).

ومثل هذا المعنى يُستقى من قول الله تعالى:

{قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ} [العنكبوت: ٥٦].

أي: إن ضاقت عليكم الأرض بدينكم، ففرّوا إلى الله تعالى، واطلبوا أرضًا تعبدونه فيها على بصيرة.

وهذا في زمانٍ كان الوصول إلى العالِم فيه صعبًا، أما اليوم، ومع وسائل الاتصال، يمكن تعلُّم الدين عن بُعد، وسؤال العلماء، وسماع الدروس، ومراسلة الشيوخ.

لكن لا شك أن الأفضل هو أن يَرحل المرء بنفسه ليتعلم ويصحب أهل العلم ، كما كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون وتابعيهم يرحلون في الطلب، ثم يعودون إلى قومهم دعاةً مُعلّمين.

{فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ} [سورة التوبة:١٢٢].

فلو قال أحدهم اليوم :

واللهِ، أنا الآن في حَرَج، لا أستطيع أن أترك والدتي، أو لا أستطيع أن أُفارِق بلدتي لأسافر إلى الشيخ الفلاني ، نقول:

لك عُذرٌ في ترك الرحلة ، لكن لا عذر لك في ترك الطلب ، تواصلْ مع أهل العلم، واستمعْ إلى دروسهم، واذهبْ إليهم ولو مرةً كل فترة ليختبرك فيما سمعت ؛ فإنَّ الاختبار يُصحِّح المفاهيم؛ لأنك قد تُذاكر أمورًا وتفهمها على خلاف المراد، فتُختبَر لتُصحَّح الفَهم.

***ثم قال المصنف:**

المعلِّمون يَبذلون نَفائِس أوقاتهم، يَصرفون أفكارهم في تفهيم المُسترشِدين بكل طريقٍ، بكل وسيلةٍ يَقدرون عليها.

أذكر مثالًا على فضل المعلم على طلابه:

شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية، وفضله على تلميذه الذي لازمه حقًّا من المِحبَرة إلى المقبرة، وهو ابن القيم.

ابن القيم لازم شيحه أبا العباس ابن تيمية في حِلِّه وترحاله، في مجالسه، حتى في سِجنه، حتى مات شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية في سجن القلعة.

إذا تتبعت ابن القيم في أوائل ما كتب، وجدت عنده نَزعةٌ صوفية، فلم يكن على جادة السنّة، حتى رُزِقَ بشيخ الإسلام ابن تيمية.

انظر إلى هذه الأبيات، يقول فيها ابن القيم معبّرًا عن فضل شيخه:

يا قومِ واللهِ العظيمِ نصيحةً   من مُشفِقٍ وأخ لكم معوان.

جربت هذت كله وقعتُ في   تلك الشِّباكِ، وكنتُ ذا طيرانِ

حتى أتاحَ ليَ الإله بفضله   مَن ليسَ تَجزيه يدي ولساني

أخذت يداه يدي وسار   فلم يُرم حتى أراني مطلعَ الإيمانِ

فرأيتُ آثارًا عظيماً شأنها   محجوبةٌ عن زُمرة العُميان.

قال يوسف بن أسباط:

كان أبي قدريًا ، وأخوالي روافض، فأنقذني الله تعالى بسفيان الثوري. [١٠٩]

تخيّل ، رجل نشأ بين أهل بدع ،لكن الله تعالى نجّاه بفضل معلمٍ على السُّنّة.

وهذا الإمام أبو الحسن الأشعري، أنه كان ربيبًا عند أبي علي الجُبّائي، مكث عنده أربعين سنة ، أربعون سنة ضاعت من عمره تشرَّب فيها منهج المعتزلة ، حتى منَّ الله تعالى عليه فثاب إلى منهج أهل الأثر واالسنة.

ولا أدلَّ على فضل العلم على السنّة من قصة الغلام الذي كان يُرسَله الملك إلى الساحر ، فمَنَّ اللهُ تعالى عليه براهبٍ على السُّنَّة، فتعلَّم منه حتى صار

---

[١٠٩] انظر: صحيح مسند ابن الجعد(١٨٠٦) وتاريخ دمشق (٩٦/٨)

الغلامُ وليًّا ، فكان من كراماته أن يضرب الدابَّة العظيمة بحجر، فتسقُط ، وما هذا إلا بفضل ملازمة أهل السُّنَّة.

قال الربيع بن سليمان : سمعت الشافعي يقول:

دخلت بغداد فنزلت على بشر المريسي، فأنزلني في غرفة له ، فقالت لي أمه: لم جئت إلى هذا؟ قلت: أسمع منه العلم ، فقالت: هذا زنديق ![١١٠]

أمه تقول ذلك! كانت أمه على عقيدة العجائز، لم تكن "سلفية" بالمعنى الشائع ، ولكن كانت على الإيمان الفطري، على التوحيد الأول.

فقالت له: "هذا زنديق ".

تأمل: لو لم تخرج أمه للشافعي، لكان... وكان... وكان...

قال المصنف:

(وَإِذَا كَانَ مِنْ أَحْسَنَ إِلَى الإِنْسَانِ بِهَدِيَّةٍ مَالِيَةٍ يَنْتِفعُ بِهَا، ثُمَّ تَذْهَبُ وَتَزُولُ، لَهُ حَقٌّ كَبِيرٌ عَلَى المُحْسَنِ إِلَيْهِ ، فَمَا الظَّنَّ بِهَدَايَا العِلْمِ النَّافِعِ الكَثِيرَةِ المُتَنَوِّعَةِ البَاقِي نَفْعُهَا مَا دَامَ الْعَبْدُ حَيًّا وَبَعْدَ مَمَاتِهِ المُتَسَلْسِلُ بِحَسَبِ حَالِ تِلْكَ الهَدَايَا ، فَحِينَئِذٍ يَعْرِفُ حَقَّهُ وَيُوَقِّرَهُ وَيُحْسِنُ الأَدَبُ مَعَهُ).

والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ أَهْدَى لَكُمْ هَدِيَةَ فَكَافِؤُوهُ فَإِن لَمْ تَجِدُوا فَدْعُوا لَهُ».

ولذلك فإن الدعاء لمن استفدت منه علماً هذا من أقل ما يُجزى به، وقد جاء عن بعض وهو رِزْقُ الله التميمي الحنبلي أنه كان يقول: «يَقْبُحُ بكم أن تستفيدوا منا ولا تترحموا العلماء علينا».

ولذلك كان من طريقة العلماء عند تأليفهم أنهم يدعون لأنفسهم ولوالديهم ولمشايخهم، أسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرحم مشايخنا ويرحمهم برحمته ويدخلنا معهم في جنةالنعيم

لذلك، كان من سُنن السلف: الدعاء للمشايخ والمعلِّمين.

---

[١١٠] انظر: تاريخ بغداد(٧/٥٢٥)

قال أبو حنيفة: ما صليتُ صلاة منذ مات حماد إلا استغفرت له مع والدي، وإني لأستغفر لمن تعلمتُ منه علمًا، أو علَّمتُه علمًا. [١١١]

وكما فعلُ أبو حنيفة مع معلمه ، كذلك فعل به تلاميذُه.

وقال أبو يوسف القاضي، تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله:

(إني لأدعو لأبي حنيفة قبل أبويَّ، وسمعت أبا حنيفة يقول:

إني لأدعو لحماد مع والديَّ. [١١٢]

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل :

قلت لأبي ، يا أبة ، أي رجل كان الشافعي ؟ فإني أسمعك تكثر الدعاء له ، فقال يا بني : كان الشافعي رحمه الله كالشمس للدنيا ، وكالعافية للناس، فانظر هل لهذين من عوض أو خلف؟! . [١١٣]

فالدعاء للمعلم في حياته وبعد موته أقلُّ ما يُفعل معه ، بأن تذكره بدعوة صالحة، من باب قول الله تعالى:{أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ} (لقمان:١٤].

فإذا كنتَ أُمِرتَ بشكر الوالدين، فأولى أن تشكر من علَّمك.

قال المصنِّف: "ولا يخرج عن إشارته ، وليجلس بين يديه متأدِّبًا، يُظهِر غاية حاجته إلى علمه."

مسألة أدب الجلوس بين يدي المعلم ، فينبغي لطالب العلم أن يلزم مع شيخه الوقار، والتأدب، والتعظيم، فقد قالوا: "بقدر إجلال الطالب العالم ينتفع الطالب بما يستفيد من علمه"، ولنا في هذا سُنن كثيرة.

---

[١١١] انظر: تاريخ بغداد (٣٣٤/١٣)
[١١٢] انظر: تهذيب الأسماء واللغات(٢١٩/٢)
[١١٣] انظر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء (ص:٧٤)

فمما ورد في حديث جبريل عليه السلام أنه أتى النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم، فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيْهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، وَوَضَعَ كَفَّيْهِ عَلَى فَخِذَيْهِ، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَخْبِرْنِي عَنِ الْإِسْلَامِ .[114]

وهكذا كان صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، كما في الرواية:

عن البراءِ بنِ عازبٍ رضي الله عنه قال :

خرجنا مع رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في جنازةِ رجلٍ من الأنصارِ ، فانتهينا إلى القبرِ ولما يُلْحَدُ ، فجلس وجلسنا كأنَّ على أكتافنا خُلِقَ الصخرُ وعلى رؤوسنا الطيرُ.[115]

والتعبير بقولهم : "جلسنا كأن على رؤوسنا الطير" :

هو تعبير مجازي يُستخدم لوصف حالة السكون والهدوء التامين، حيث يجلس الأفراد في حالة من الصمت والتركيز الشديدين، وكأنهم يخشون أن تطير الطيور من على رؤوسهم إذا تحركوا أو تكلموا .

قال الخطيب:

يجب على طالب الحديث أن يتجنب اللعب والعبث والتبذل في المجالس بالسخف، والضحك،وكثرة التنادر، وإدمان المزاح والإكثار منه .[116]

قال بدر الدين ابن جماعة :

أن يجلس بين يدي الشيخ جلسة الأدب كما يجلس الصبي بين يدي المقري ، أو متربعًا بتواضع وخضوع وسكون وخشوع ، ويصغي إلى الشيخ ناظرًا إليه ، ويقبل بكليته عليه متعقلاً لقوله ، بحيث لا يُحْوِجُه إلى إعادة الكلام مرة ثانية، ولا يلتفت من غير ضرورة.[117]

وانظر إلى الشافعي كم كان علَمًا في الأدب:

---

[114] متفق عليه.

[115] أخرجه أحمد (١٨٥٣٤) وأبو داود (٤٧٥٣)

[116] انظر: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع(١٥٦/١)

[117] تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم
المؤلف: بدر الدين ابن أبي إسحاق إبراهيم ابن أبي الفضل سعد الله ابن جماعة الكناني(ص/٩٧)

كنت أكون في مجلسه فأريد أن أَصْفَحَ الورقةَ فأصْفَحها صَفْحاً رقيقاً، هيبةً له؛ لئلا يسمع وَقْعَها.[118]

وقال الربيع بن سليمان : والله ما اجترأتُ أن أشرب الماء والشافعيّ ينظر إليَّ ؛ هيبةً له.[119]

نصيحةٌ مهمة:

لِمَن عجز عن حضور الدرس، فلا بأس أن يسمعه عبر الهاتف مثلًا، ولكن بقدر إقبال القلب وإحسان الجلوس والإقبال على صوت الشيخ، يحصل له من البركة ما شاء الله.

فأنت وإن فاتك مجلسُ العلم الذي تغشاه الملائكة ويتنزل فيه الرحمات، فإنك إذا سمعت عن بُعد، فاعلم أن هذا لا يمنع من حصول الفضل إذا أحسنتَ الجلسة، وكأنك تجلس بين يدي الشيخ.

لكن للأسف، قد يكون بعض الطلاب عند سماعه عن بُعد جالسًا بكل أريحية، لا يتدبّر، فقط يمرّر الوقت، دون أن يكتب،أو يقبل بكليته على السماع ، فالإقبال على المعلم ليس فقط في المجلس، بل حتى عن بُعد تكتب، تُقبل بقلبك وسمعك ، فتحصل البركة إن شاء الله، قال تعالى

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٞ)(ق:٣٧)

قال ابن حزم:

إِذا حضرت مجْلِس علم فَلَا يكن حضورك إِلَّا حُضُور مستزيد علما وَأَجرا ، لَا حُضُور مستغن بِمَا عنْدك ، طَالبا عَثْرَة تشيعها أَو غَرِيبَة تشنعها ، فَهَذِهِ أَفعَال الأرذال الَّذين لَا يفلحون فِي الْعلم أبداً.[120]

لذلك نقول: إذا أردتَ حقًّا أن تستفيد، فلابد أن تُقبل على شيخك بقلبك وسمعك وبصرك، تُقبل عليه دون أن تنشغل بغيره.

---

[118] انظر: مناقب الشافعي(ص/١٤٥)
[119] انظر: المصدر السابق(ص/١٤٥)
[120] انظر: الأخلاق والسير في مداواة النفوس(ص/٩٢)

وقال المصنّف:

وإذا أتحفه المعلّم بفائدة فلا يُظهر أنّه قد عرفها من قبل، وإن كان عارفًا بها."

والمعنى :

أنه عندما يُعطيك المعلم معلومة، فالبعض يتعجّل، وينطق بها مع المعلّم، والأدب في ذلك أن تسمع، لأنك إن نطقت وطبقتها، فكأنك تقول له بلسان الحال: "أنا أعرفها، ما جئتَ بجديد!". فالمعلّم يعقِد الفائدة أو المسألة أو المعلومة، ثم يقول: "قال فلان"، فتقول أنت: "نعم، قال..."، وكأنك تقول له: "أنا أعرفها!". فلابد أن تسمع، وكأنك لم تسمع بها من قبل.

قال عطاء بن أبي رباح :

إنَّ الرجل ليحدِّثني بالحديث فأنصت له كأن لم أسمعه قط، وقد سمعته قبل أن يولد.[١٢١]

وقال خالد بن صفوان :

إذا رأيتَ محدّثاً يحدِّث حديثاً قد سمعته ، أو يخبر بخبر قد علمته ، فلا تشاركه فيه ؛ حرصاً على أن يعلم من حضرك أنك قد علمته ، فإن ذلك خفة فيك ، وسوء أدب.[١٢٢]

وهذا والله لمن دقائق الأدب مع الشيخ ؛ فإنّ هذه المعلومة التي أتعب الشيخُ نفسه في تحصيلها ونقلها، لا يليق بك أن تُظهر أنك كنتَ تعلمها.

قال عبد الله بن صالح العجلي :

كان رجل من ولد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجلس في مجلس ابن السماك فكان يطيل السكوت ، فقال له ابن السماك ذات يوم: : يا فتى ، ألا تخوض فيما يخوض فيه القوم من الحديث؟

---

[١٢١] انظر: تهذيب الكمال(٥٣/١٣) وسير أعلام النبلاء(٨٦/٥)
[١٢٢] انظر: الآداب الشرعية (٢٦٤/٢)

فقال: إنما قعدت لأسمع، وأنصت لأفهم.[123]

وقال يحيى بن خالد وهو يوصي ولده : " يا بنيّ ، إذا حدّثك جليسك حديثاً ، فأقبل عليه وأصغ إليه، ولا تقل قد سمعته ، وإن كنتَ أحفظ له، وكأنك لم تسمعه إلاّ منه، فإنّ ذلك يكسبك المحبة والميل إليك.[124]

وليعلم أنَّ:

كثيراً من المعلمين لا يُحبّون الطالب الثرثار ، كثير الكلام والمقاطعة.

قال الخطيب البغدادي:

ومن الأدب إذا روى المحدِّث حديثاً فعرض للطالب من خلاله شيء يريد السؤال عنه، أن لا يسأل عنه وهو في تلك الحال ، بل يصبر حتى ينهي الراوي حديثه ثم يسأل عمَّا عرَض له.[125]

وتأمل في حال أَبِي سَلَمَةَ مع ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما :

قال الزهري: «كان أبو سلمة يسأل ابن عباس رضي الله عنهما فكان يَخْزُن عَنْهُ، وكان عبيد الله يلطفه فكان يغرَّه غرَّاً» .[126]

أي يطعمه كما يطعم العصفور صغيره .

قال أَبِو سَلَمَةَ : لَوْ رَفَقْتُ بِابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، لَأَصَبْتُ مِنْهُ عِلْمًا كَثِيرًا ".[127]

وذلك أنَّ أبا سلمة كان كثيراً ما ينازع ابنَ عباس رضي الله عنهما في المسائل ويماريه ، ولما بلغ ذلك عائشة رضي الله عنها فقالت:

"إنما مثلك يا أبا سلمة مثل الفرُّوج ، سمع الديكة تصيح فصاح معها"، يعني أنك لم تبلغ مبلغ ابن عباس وأنت تماريه .

---

[123] انظر: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء(٨/٢٠٩)

[124] انظر: بهجة المجالس(ص/٥)

[125] انظر: الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٠٩).

[126] انظر: فضائل الصحابة للإمام أحمد بن حنبل (٢/ ٩٥٩) .

[127] أخرجه الدارمي(٤٢٦)، وإسناده صحيح.

" ارفق بشيخك تظفر بقصدك".

ثم قال المصنّف: وإذا أخطأ المعلم في شيء فلتنبه برفق ولطف، بحسب المقام.

وهذه مسألة مهمة جدًا في آداب الطالب مع معلمه، وهي: أدب المراجعة.

إذا لحن المعلم في حديثٍ ما، أو نسب قولًا لغير قائله، فمن الأدب ألّا تُظهر خطأه صراحة ، فلا يقول لمعلمه :" أخطأت ، أو ليس الأمر ما تقول"، بل يستعمل ما فيه أدب المراجعة.

مثال:

قال المعلم في الحديث: "حجّ آدمَ موسى"، ونطقها هكذا على وجه اللحن، بينما الصواب: "حَجَّ آدمُ موسى".

فهنا لا يصحّ أن تُصحّح له أمام الناس فتُحرجه ، بل تقول بأدب: "سيدي، هل لما قلته هذا وجهٌ في اللغة؟" ، أو " أليس هذا اللفظ فيه رواية أخرى؟" وهكذا.

مثال آخر:

يقول المعلم: "إن المعتمد عند المالكية إخراج زكاة الفطر في أوّل رمضان" ، وأنت تعلم أن هذا ليس مذهب المالكية ، فالأدب أن تقول:

"سيدي، أعلم أن المعتمد عند الشافعية إخراجها في أول رمضان ، فهل هذا أيضاً هو المعتمد عند المالكية؟

قال العلاء بن الحسين :

حدَّثنا سفيان بن عيينة حديثاً في القرآن ، فقال له عبد الله بن يزيد:

ليس كما هو حدثت يا أبا محمد ، قال: وما علمك يا قصير؟

قال: فسكتَ عنه هنيهة ، ثم قام إلى سفيان فقال: يا أبا محمد ، أنت معلمنا وسيدنا ، فإن كنتُ أوهمتُ فلا تؤاخذني ، قال: فسكت سفيان هنية ثم قال:

يا أبا عبد الرحمن ، قال لبيك وسعديك ، قال : الحديث كما حدثتَ أنت ، وأنا أوهمت.[128]

قال محمد بن القاسم العثماني:

جئت مجلس الشيخ أبي الفضل الجوهري، فكان مما قال إن النبي صلى الله عليه وسلم طلق وظاهر وآلى، فلما خرج تبعته حتى انفض عنه الناس وبقيت وحدي معه. فقلت له: سمعتك تقول:

آلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقت، وطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدقت ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا لم يكن، ولا يصح أن يكون؛ لأن الظهار منكر من القول وزور، فضمني إلى نفسه وقبل رأسي، وقال لي: أنا تائب من ذلك، جزاك الله عني من معلم خيراً.

ثم انقلبت عنه، وبكَّرت إلى مجلسه في اليوم الثاني، فألفيته قد سبقني إلى الجامع، وجلس على المنبر، فلما دخلت من باب الجامع ورآني نادى بأعلى صوته: مرحبا بمعلمي؛ أفسحوا لمعلمي، فتطاولت الأعناق إلي، وحدقت الأبصار نحوي، وأنا لعظم الحياء لا أعرف في أي بقعة أنا من الأرض، وأقبل الشيخ على الخلق، فقال لهم: أنا معلمكم، وهذا معلمي .[129]

قال الدارقطني :

حضرتُ مجلس أبي بكر بن الأنباري، يوم الجمعة فصحَّف اسماً، فأعظمت له أن يُحمل عنه وهم، وهبتُه، فلما انقضى المجلس، عرَّفت مستمليه ،فلمَّا حضرتُ الجمعة الثانية، قال ابن الأنباري، للمستملي: عرِّف الجماعة أنا صحَّفنا الاسم الفلاني، ونبهنا ذلك الشاب على الصواب.[130]

وهذه طريقة أهل السُّنة في مراجعة المعلّمين ، لا تكون بنشر المعايب، ولا بالتشهير، بل بالرفق والأدب.

---

[128] انظر: الكفاية في علم الرواية(ص/١٤٦)
[129] انظر: أحكام القرآن لابن العربي(١/٢٥٠)
[130] انظر: تذكرة الحفاظ(٣/٤٢)

أما بعض الطلاب، أعوذ بالله، فتراهم طلاب عثرات ، لا طلاب علم ، إذا رأى خطأً للمعلم وقف على الزلة، يُشهّر، يُظهر، يتصيّد ، حاله كحال الذباب، لا يقع إلا على الجراح ، يقوم على منهج الجرح والتجريح ، ومثل هذا لن يفلح أبداً .

فمثل هذا الطالب سيِّئ النّية، لا يُوفّق لا لعلمٍ ولا لعمل.

قال الله تعالى:

{فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذۡهَبُ جُفَآءٗۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمۡكُثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ} [الرعد: ١٧].

وماذا سيستفيد هذا الطالب مريض القلب والنفس من نشر زلات أهل العلم وعثراتهم ، وما الفائدة العائدة من إسقاط الشيخ لزلة ما؟!

قال محمد بن إسماعيل البخاري :

سمعتُ أحمد بن حنبل يقول "إنما الناس بشيوخهم ، فإذا ذهب الشيوخ فمع من العيش؟! [١٣١]

ثم قال المصنف:

(وَكَمَا أَنْ هَذَا لَازِمُ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ ، فَعَلَى الْمُعَلِّمِ إِذَا أَخْطَأَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الْحَقِّ، وَلَا يَمْنَعُهُ قَوْلٌ قَالَهُ ثُمَّ رَأَى الْحَقَّ فِي خِلَافِهِ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْحَقِّ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ، فَإِنَّ هَذَا عَلَامَةُ الْإِنْصَافِ وَالتَّوَاضُعِ لِلْحَقِّ ، فَالوَاجِبُ اِتِّبَاعُ الصَّوَابِ سَوَاءٌ جَاءَ عَلَى يَدِ الصَّغِيرِ أَوْ الكَبِيرِ).."

فعلى المعلّمين إذا أخطأوا أن يرجعوا إلى الحق، ولا ينبغي أن يمنعهم قولٌ قد قالوه ، ثم رأوا الحق في خلافه أن يرجعوا إلى الحق؛ فالرجوع إلى الحق من علامات الإنصاف والتواضع.

كما أنه من علامات إخلاص المعلم أن لا يستنكف إذا ذُكّر، بل يرجع ، فإن لم يرجع، فهذا لا يكون إلا لشيءٍ في قلبه.

---

[١٣١] انظر: طبقات الحنابلة(١/٢٧٤)

قول يَحْيَى بن مَعِين :

حضرنا نعيم بن حماد بمصر ، فجعل يقرأ كتاباً من تصنيفه، قال:

فقرأ ساعة ، ثم قال: حَدَّثَنَا ابْنُ المبارك، عَنِ ابْنِ عون بأحاديث ،

قال يَحْيَى: فقلت لَهُ: ليس هَذَا عَنِ ابْنِ المبارك، فغضب، وَقَال: ترد عليّ؟ قال: قلت: إي والله أرد عليك أريد زينك، فأبى أن يرجع، فلما رأيته هكذا لا يرجع ، قلت: لا والله ما سمعتَ أنت هَذَا من ابن المبارك قط ، ولا سمعها ابن المبارك من أبو عون قط.

فغضب وغضب من كَانَ عنده من أصحاب الحديث، وقام نعيم فدخل البيت فأخرج صحائف ، فجعل يقول وهي بيده: أين الذين يزعمون أن يَحْيَى بن مَعِين ليس أمير المؤمنين فِي الحديث ؟!

نعم يا أبا بكر زَكَرِيَّا غلطتُ، وكانت صحائف، فغلطت فجعلت أكتب من حديث ابن المبارك عَنِ ابْنِ عون، وإنما روى هَذِهِ الأحاديث عَنِ ابْنِ عون غير ابن المبارك.

قال الحافظ أَبُو نصر:

ومما يدل عَلَى ديانة نعيم وأمانته رجوعه إِلَى الحق لما نبه عَلَى سهوه وأوقف عَلَى غلطه، فلم يستنكف عن قبول الصواب، إذ الرجوع إِلَى الحق خير من التمادي فِي الباطل، والمتمادي فِي الباطل لم يزدد من الصواب إلا بعداً. [١٣٢]

وانظر إلى شيخ الإسلام ابن تيمية، مع عظيم منزلته يقول حين أُورد زيادة في حديث السمن :

"إن كان جَامِدًا فَخُذُوا، وإن كان سائِلًا فاتركوا "، قال:

---

١٣٢ انظر: تهذيب الكمال(٢٩/٤٧٠)

تبيَّن أنَّ هذه الزيادة وقعتْ خطأً في الحديث ، ليست من كلام النبي صلى الله عليه وسلم، فلذلك رجعنا عن الإفتاء بها بعد أن كنا نفتي بها أولاً ؛ فإنَّ الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل."[١٣٣]

قال عبد الله بن بُرَيدة: من ضنائن العلم: الرجوع إلى الحق."[١٣٤]

ضنائن: جمع ضنين، من البخل والشح ، كما قال الله تعالى:{وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ} [التكوير: ٢٤] أي: لا يبخل بالوحي ، ولا يضن به.[١٣٥]

فكأنّ الذي لا يرجع للحق، بخيلٌ بالعلم، أو متّهم في الأمانة!

وكان العلماء يفتون بترك الجلوس إلى من لا يرجه عن خطئه ،فقد بوَّب الخطيب البغدادي باب:

وذكر تحته قول شعبة حيث سئل: يا أبا بسطام ، حديث من يترك؟

فقال: «من يكذب في الحديث ، ومن يكثر الغلط ، ومن يخطئ في حديث مجتمع عليه ، فيقيم على غلطه ، ولا يرجع ".[١٣٦]

قال موسى بن هارون ، قال: سمعت أبي يقول: كان يزيد بن هارون يقول في مجلسه الأعظم غير مرة «حديث كذا وكذا أخطأت فيه».[١٣٧]

واعلم أنَّ مَن امتنع عن الرجوع للحق يتنزل تحت قوله تعالى:{إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ} [البقرة: ١٥٩].

قال المصنف:

من أعظم ما يجب للمعلِّمين أن يقولوا لما لا يعلمونه : "الله أعلم".

وليس هذا بنقصٍ فيهم، بل هو ممَّا يزيدهم قدرًا، ويُستدلُّ به على ديانتهم، وتحرِّيهم للصواب.

---

[١٣٣] انظر: مجموع الفتاوى(٥١٦/٢١)

[١٣٤] انظر: الحجة في بيان المحجة(٥٧٩/٢)

[١٣٥] قوله تعالى:{وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ} [التكوير: ٢٤] قرأها حفص: "بِضَنِينٍ"، أي شحيح، والمعنى: أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يبخل بوحي الله تعالى ، كما قال تعالى:{يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ} [المائدة: ٦٧].
وعلى قراءة الكسائي وأبي عمرو وابن كثير: {بِظَنِينٍ}، أي: غير متهم، وحاشاه صلى الله عليه وسلم.

[١٣٦] انظر: الكفاية في علم الرواية(ص/١٤٥)

[١٣٧] انظر: المصدر السابق(ص/١٤٥)

وهذه الكلمة ليست بالهيِّنَة، خاصَّةً حينما يراقب الطلَّاب معلِّمهم، وتتَّجه إليه الأنظار، وينتظرون ما يصدر منه من قولٍ ، فكونه يقول: "لا أعلم"- مع أن الموقف قد يكون حَرِجًا - فهذا موقفٌ عظيم ؛ فإنَّ الشيخ ما قال: "لا أعلم" إلا لعلمه أنَّ القول على الله بغير علمٍ أمرٌ عظيم، بل من الكبائر، وقد قال الله تعالى:

{وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٦] وقال تعالى: {وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [سورة البقرة: ١٦٩].

وأقول ولا أنسى ما حييت موقفاً للشيخ أبي إسحاق الحويني، رحمه الله، حيث كان في درسٍ على قناةٍ تلفزيونيَّة، فجاءه سؤالٌ في الفرائض، ولم يُكمل السائل سؤاله حتى قاطعه الشيخ، وقال: "لا أعلم"، وكان ذلك في تواضُعٍ ظاهرٍ، وإخلاصٍ عظيم.

وليعلم أنَّ المعلِّم إذا تحدَّث فيما لا يعلم، فقد أخطأ، وإنْ وافقَ الحق؛ لأنَّه لم يتكلَّم عن علم، بل وافق الصوابَ من غير بيِّنة، وهذا لا يُعذَر به.

وقد عقد ابن مفلح في كتابه الآداب الشرعيَّة فصلًا بعنوان:

"قول العالم: لا أدري"، وذكر فيه قول الشعبي:

"نصف العلم: لا أدري".

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:

"من علِمَ شيئًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم؛ فَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ تقول لِمَا لَا تعلم لَا أَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ قَالَ لِنَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: {قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ}. ".[١٣٨]

[١٣٨] أخرجه البخاري(٤٤٩٦)

تأمَّل قوله: " مِنَ الْعِلْمِ أَنْ تقول لِمَا لَا تعلم لَا أَعْلَمُ، "، أي أن قولك عما لا تعلمه "لا أعلم" ، هو في ذاته علم ؛ لأنك لم تقله جهلًا، بل قلته علمًا بحرمة وخطورة القول على الله بلا علم، قال تعالى:{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا، وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ}

[الأعراف: ٣٣].

وقال القاسم بن محمد:

لأن يعيش المرء جاهلًا، خيرٌ له من أن يتكلَّم على الله ورسوله بما لا يعلم [١٣٩].

قال عبد الرحمن بن مهدي :

كنا عند مالك بن أنس، فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله ، جئتك من مسيرة ستة أشهر ، حمَّلني أهل بلدي مسألة أسألك عنها، قال:

فسل ، فسأله الرجل عن مسألة ، فقال : «لا أحسنها» قال:

فبهت الرجل ، كأنه قد جاء إلى من يعلم كل شيء، قال فقال:

فأي شيء أقول لأهل بلدتي إذا رجعت لهم؟ قال: " تقول لهم: قال مالك:

لا أحسن ."[١٤٠]

فهذا هو الإمام مالك ، الذي ذاع صيتُه، وبلغ الآفاق علمُه ،لم يرَ في قولِه "لا أُحسن" منقصة، بل كان ذلك من تمام علمه وورعه.

قال أحمد بن عمرو بن سرح، سمعت ابن وهب يقول:

لو أردتُ أنصرف كل يوم بألواحي ملأى عند مالك بن أنس فيما يسأل ويقول لا أدري لانصرفت بها، قال ابن سرح: وقد صار لا أدري عند أهل زماننا هذا عيب.[١٤١]

---

[١٣٩] انظر: تاريخ دمشق (ج٤٩/ص١٧٦)

[١٤٠] انظر: جامع بيان العلم وفضله(٨٣٨/٢)

لقد علم هؤلاء الأئمة أن الفتوى بمثابة توقيعٌ عن الله عزوجل، ولذلك صنَّف الإمام ابن القيم كتابه القيم الذي سمَّاه: أعلام المُوقِّعين عن ربِّ العالمين.

قال ابن القيم:

وإذا كان منصب التوقيع عن الملوك بالمحلِّ الذي لا يُنكَر فضله، ولا يُجهَل قدرُه، وهو من أعلى المراتب السنيَّات، فكيف بمنصب التوقيع عن ربِّ الأرض والسماوات؟!

كيف وهو المنصب الذي تولاه بنفسه ربُّ الأرباب، فقال تعالى: {وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ} [النساء: ١٢٧] ، وَلْيعلم المفتي عمن ينوب في فتواه، وَلْيوقن أنه مسؤول غدًا وموقوف بين يدي الله .[١٤٢]

وقد يقول قائل: "وإنْ أجبتُ عن مسألةٍ لا أعلمها، وكان جوابي صوابًا؟" نقول:

قد أخطأت؛ لأنك تكلَّمت بلا علم، وأصبتَ من غير بيِّنة ، فالله تعالى لا يُثيبك على مصادفتك للحق، إنما يُثيبك على القول المبنيِّ على علمٍ وهدًى.

قال المصنِّف بعد ذلك:

«والحذرَ الحذرَ من التعصُّبِ للأقوالِ والقائلين، وهو أن يجعلَ القصدَ من المناظرة نُصرةَ القولِ الذي قاله ؛ فإنَّ التعصب مُذهب للإخلاص».

مسألةُ التعصُّب للشيخ مسألةٌ مهمّة، فمِن صورِها أن يجعلَ الطالبُ معلمَه صنمًا يُعظِّمُه ويُقدِّمُ قولَه حتى يجعله مرجعًا لا يُخالَف ، حيث يجعلَ الطالب قولَ شيخِه صوابًا لا يحتملُ الخطأ، وقولَ غيره خطأ لا يحتملُ الصواب.

---

[١٤١] انظر: الكامل في ضعفاء الرجال(١/١٧٠)

[١٤٢] انظر: أعلام الموقعين عن رب العالمين(١/١٨)

والقارئُ المتصفِّحُ لأقوالِ الأئمّة لا يخفى عليه حقيقة ذمِّهم للتعصُّب ، وهذا ما قاله أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي،وأحمد.

فقد أكدوا كلهم أشد التأكيد على أنَّ همهم اتباع الدليل من الكتاب والسنة، وأن يُضرب بقولهم عرض الحائط إذا وجدوه خلافا لما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

فقال الإمام أبو حنيفة : "إذا صح الحديث فهو مذهبي". وقال: لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه" ،وقال: "حرام على من لم يعرف دليلي أن يفتي بكلامي؛ فإننا بشر نقول القول اليوم ونرجع عنه غداً" .
وقال الإمام مالك :

"إنما أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه، وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه".

وكذلك قال: "ليس أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم إلا ويؤخذ من قوله ويترك إلا النبي صلى الله عليه وسلم".

وقال الإمام الشافعي : "أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحل له أن يدعها لقول أحد".

وقال الإمام أحمد : "لا تقلدني ولا تقلد مالكا ولا الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا"

وقال الإمام الشاطبي:

ولقد زل - بسبب الإعراض عن الدليل والاعتماد على الرجال - أقوام خرجوا بسبب ذلك عن جادة الصحابة والتابعين واتبعوا أهواءهم بغير علم فضلوا عن سواء السبيل.[١٤٣]

إنَّ الذي يتعصَّب لرأي شيخِه فقد أساء إلى شيخِه من حيث لا يشعر، فإنَّ الشيخ نفسَه لا يرضى بذلك، لا بلسانِ المقال ولا بلسانِ الحال".

وما أجملَ قولَ الإمامِ أحمد:

---

[١٤٣] انظر: الاعتصام(٨٦٠/٢)

"عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلى رأي سفيان، والله تعالى يقول: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}.

فانظر كيف علَّموا الناسَ التحرُّرَ من التعصُّب، والرجوعَ إلى الدليل، وكانوا مع علمهم وفضلهم لا يرونَ أنفسَهم فوقَ الردِّ، بل يَدينون للهِ بالرجوعِ إلى الحقِّ متى ظهر.

فليحذر المسلم – خاصة طالب العلم – أن يتعصب لأحد كائنًا من كان، وإلا كان له نصيب من قوله تعالى (ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ)(التوبة:٣١)

فليحذر المسلم – خاصة طالب العلم – أن يتعصب لأحد كائنًا من كان، فإن الحقَّ لا يُعرف بالرجال، بل يُعرف الرجالُ بالحق.

وتأمَّل سورة الفاتحة، فإنها تُعلِّمك أنَّ الحقَّ لا يُعرف بالرجال، بل يُعرف الرجالُ بالحق:

فقد قال تعالى {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ } [الفاتحة: ٦]، ولم يقل: " اهدنا صراط الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} ،

فبيّن أن الطريق المستقيم هو صراط الذين أنعم الله على أهله، لا مجرد تقليد البشر.

وهذا مثال حيٌّ على عدم التعصّب لقول الشيخ:

قال محمد بن يوسف – من تلاميذ أبي حنيفة –:

: "كان أبو حنيفة لا يرى في الاستسقاء صلاة ، وفي قولنا أن الإمام يصلي ركعتين ، ثم يدعو".

وهذا مثال أخر على التعصّب لقول الشيخ:

قال أبو عبد الله بن منده: حدثت عن الربيع، قال: رأيت أشهب بن عبد العزيز ساجدا يقول في سجوده: اللهم أمت
الشافعي، لا يذهب علم مالك.[١٤٤]

ثم قال المصنِّف: "وليَحذَرْ مِن طلبِ العلمِ للأغراضِ الفاسدةِ والمقاصدِ السيئةِ ، من المِباهَاةِ ، والمُمارَاةِ والرياء والسمعة"،

هنا تحذيرٌ آخر ينصُّ عليه المصنِّف عليه رحمةُ الله، وهو يشملُ العالِمَ ويشملُ المُعَلِّمَ والمُتَعَلِّمَ، فليَحذَرْ حين يطلبُ العلمَ أو حين يُلقي العلمَ من مسألةِ المُبَاهَاةِ والمُمارَاةِ والرِّياءِ والسُّمْعَةِ.

وذلك حين يُكلِّمَ الناسَ بالعلم لا يبتغي بذلك وجهَ الله تعالى، وإنَّما ليظهرَ بين الناسِ معلومًا، أي يُرى مكانُه.

ورد بإسنادٍ حسنٍ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: ﴿لا تَعلَّموا العلمَ لِتُبَاهُوا به العلماءَ، ولا لِتُماروا به السُّفَهاءَ، ومَن فعل ذلك فالنارَ النارَ﴾ [رواه ابن ماجه، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٥٤)].

وأيضًا روى أبو داود وابن ماجه من حديث أبي هريرة أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال:

" مَن تَعَلَّمَ علمًا مما يُبتغَى به وجهُ الله، لا يَتَعَلَّمُهُ إلَّا لِيُصيبَ به عَرَضًا من الدنيا، لم يَجِدْ عَرْفَ الجنَّةِ يومَ القيامةِ﴾ [رواه أبو داود (٣٦٦٤) وابن ماجه (٢٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٥٩)].

هذا تحذيرٌ فيه ذمٌّ لطلبِ العلمِ من أجلِ عَرَضٍ من أعراضِ الدنيا.

وقوله: "مَن تَعَلَّمَ علمًا مما يُبتغَى به وجهُ الله"؛ فيه دلالة أنَّ العلمُ الشرعيُّ الأصلُ فيه أن يكونَ للهِ تبارك وتعالى، لربِّ الناس، وليس لصرفِ وجوهِ الناسِ إليه.

[١٤٤] انظر: سير أعلام النبلاء(١٠/١٧٠)

"لم يَجِدْ عَرْفَ..." هكذا: عَيْنٌ مَفْتُوحَةٌ ساكنة، أي: ريحَ الجنةِ يوم القيامة.

مسألةِ الإخلاص، إصلاحِ النوايا، مراجعةِ ما في الصدور، احذرْ... وحصِّلْ ما في الصدور، وحصِّلْ ما في الصدور، هذا الذي في الصدور، سوف يُخرَجُ يومَ تُبلى السرائر، يُمتحَنُ ما في السرائر، ما كان لله يُقبَل، وما كان لغيرِه يُطرَح.

للإخلاصِ في طلبِ العلمِ علاماتٌ، منها:

أنَّ المرءَ لا يعبء بذم الذامين، ولا مَدْحِ المادحين، إنما يَرْقُبُ دومًا رِضا ربِّ العالمين، لا يُحرِّكُه مادحٌ، ولا ذَمٌّ، إنما أَخْلَصَ وأَخْلَصَ وَجْهَهُ.

ومن الإخلاصُ في العلمِ :

أنْ يعملَ به في الخَلَوَاتِ، إذا خَلَا بنفسِه يعملْ بهذا العلم، فهذا من زكاةِ العلم.

فكما أنَّ اللهَ افترضَ على أصحابِ الأموالِ زكاةً، وتوعَّدَهم بتركِها، فكذلك فرضَ على أهلِ العلمِ زكاةً، وزكاةُ أهلِ العلمِ: العملُ.

قال بشر بن الحارث : يا أصحاب الحديث ،أدوا زكاة هذا الحديث ، قالوا وما زكاته؟ قال: تعملون من كل مائة حديث خمس أحاديث.[١٤٥]

وقال عمرو بن قيس الملائي: " إذا بلغك شيء من الخير فاعمل به ولو مرة تكن من أهله "[١٤٦]

وقال وكيع: " إذا أردت أن تحفظ الحديث فاعمل به "[١٤٧]

وقال : كُنا نَستعينُ على حفظِ الحديثِ بالعملِ به، وكُنا نَستعينُ على طلبِهِ بالصومِ "[١٤٨]

---

[١٤٥] انظر: شعب الإيمان(٣/٣٩٠)
[١٤٦] انظر: تاريخ بغداد (١٢/١٦٣)
[١٤٧] أخرجه الخطيب في الجامع (١٧٨٨) و (١٧٨٩).
[١٤٨] أخرجه ابن عساكر في «أخبار الحفظ» (١١)

وقال أحمد بن حنبل: " ما كتبت حديثا إلا وقد عملت به ، حتى مر بي أن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى أبا شيبة ديناراً فاحتجمت وأعطيت الحجام دينارا ".[١٤٩]

وتأمل قولِه تعالى: {وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا} [النساء: ٦٦]،

فدلت الاية أنه من سبل حفظ العلم أن تعمل بما تتعلم.

وعالِمٌ بعلمِه لم يَعمَلَنْ

مُعذَّبٌ في النارِ قبلَ عُبّادِ الوثنِ

"عالِمٌ بعلمِه لم يَعمل"، ولكن "لم يَعملْ بعلمِه"، مُعذَّبٌ في النارِ قبلَ عُبّادِ الوثن. يُقصَدُ به حديثُ أبي هريرة: أولُ من تُسعَّرُ بهم النارُ ثلاثةٌ...

ثم قال المصنّف:

ومن أعظمِ ما يَتعيّنُ على أهلِ العلم: الاتّصافُ بما يَدعو إليه العلمُ من الأخلاقِ والأعمالِ والتعليم. فهم أهلُ العلمِ بالأخلاقِ الجميلةِ، والتخلّي عن كلِّ خُلُقٍ رذيلٍ.

هذا الكلامُ مهمٌّ جدًّا: والمعنى أنَّ المصنّفَ يُركّز على مسألةِ أنّك أنتَ يا حاملَ علمٍ، يا مُعلِّم، يا مُتعلِّم، عليك ضريبةٌ، وهي أنّك حملتَ علمًا،

فلابدّ أن يظهرَ هذا العِلم على الأخلاق، على الآداب، على الأفعال،

لأنّ هذا العِلمَ إن لم تعملْ به، عِلمًا وعملاً وخُلُقًا، صار حجّةً عليك.

ولأنّ الأعينَ تَرقب طالبَ العِلم وتقفُ له بالمرصاد، فما دُمتَ قد حملتَ علمًا، فلابدّ أن يَطْفَحَ هذا العِلم على الجوارح، وإلّا جعلت عرضَك تلوكهُ ألسنة الناس.

وخُذْ هذه القاعدة :

[١٤٩] انظر: سير أعلام النبلاء(٢١٣/١١)

كما أُمرنا ألّا نخوضَ في أعراضِ الناس، أُمرنا أن نَحفَظَ أعراضَنا عن ألسِنةِ الناس، كما ورد في حديث صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيٍّ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كان مُعْتَكِفًا فَانْقَلَب مَعِها ، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنْ الْأَنْصَارِ، فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم أَسْرَعَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: (عَلَى رِسْلِكُمَا، إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ ، فَقَالَا: سُبْحَانَ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الْإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا سُوءًا، أَوْ قَالَ: شَيْئًا). [١٥٠]

وهنا نفرِّق بين مسألتين: نريد أن نفرِّق بين مسألتين: مسألةِ الدين، ومسألةِ التديُّن.

فالأوّلُ بلا ثاني مَحجوب، والثاني بلا أوّلٍ مُبتدِع.

فالأوّلُ بلا ثاني، أي عنده دينٌ ،أي علم ولكن لم يعمل به، ولم يظهر هذا في أخلاقِه، فكان قد قامت عليه الحجّة، ومن فعل ذلك، أي كان ذا دينٍ بلا تديُّن، فهذا فيه شَبَهٌ من اليهود، الذين قال اللهُ تبارك وتعالى عنهم: {مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا}

[الجمعة: ٥].

فقد فرَّقت الآيةُ بين أمرين: بين الحَملِ والتحمُّل. {مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ} أي أُمِرُوا بحفظِها، فكانوا حفَظَةً بلا فَهم، بلا عمل، {ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ}.

وأمّا الثاني بلا أوّل، فمُبتدِعٌ، مَن تديَّن بلا دين ، أي بلا عِلم، وهذا فيه شَبَهٌ من النصارى، {وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ} [سورة الحديد: ٢٧]،

---

[١٥٠] متفق عليه.

فهم ترهَّبوا وتعبوا، ولكنّهم كانوا على بدعةٍ من القول، لذا قال اللهُ تبارك وتعالى عنها: {مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ}، أي لم نُوجبها عليهم، وإنّما الذي كُتِب أن يعبدوا الله تعالى على بصيرة ، والرهبانية شيء آخر.

فالمُصنف يؤكّد على ضريبةِ العِلم، فالعلم له ضريبة، والمعنى:

أنّ له تبِعات، على المرء أن يزدادَ خَشيةً وعِلمًا بما يَعمل.

لذلك عندنا قول شعيب عليه السلام: {وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ} [سورة هود: ٨٨]،

فليس بالجَديرِ بالمرء أن يقولَ قولًا للناس ويَعِظَهُم، ثم إذا رَقَبُوا أفعالَه، رأَوا خلافَ ما قال، وهذه من أشدّ الأمور التي تُسقِطُ العالِمَ وطالبَ العلم، أنّه إذا خرج على الناس فقالَ قولًا، وحثَّهم على أمر، ثم إذا رَقَبُوا أفعالَه، لم يجدوا ذلك فيه.

لذا فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما نهى الناسَ عن الرِّبا ، ووضع عن دِماء الجاهليّة، بدأ بنفسِه.

فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم :

وَإِنَّ كُلَّ دَمٍ وَمَالٍ وَمَأْثَرَةٍ كَانَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي هَذِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ يُوضَعُ دَمُ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَإِنَّ كُلَّ رِبًا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ وَإِنَّ اللهَ قَضَى أَنَّ أَوَّلَ رِبًا يُوضَعُ رِبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.[١٥١]

وهذا يُعلِّمُكَ أنَّ المرءُ إذا حَمَلَ عِلمًا، وأمر أو نهى، فأَولى به أن يبدأ بنفسِه، لئلّا يجعلَ عِرضَه ألسِنةَ الناس، وعندها فلا يَلُومَنّ إلّا نفسَه.

---

[١٥١] أخرجه مسلم(١٢١٨)

قال إبْرَاهِيمَ النخعي : «كَانُوا إِذَا أَتَوْا الرَّجُلَ يَأْخُذُونَ عَنْهُ الْعِلْمَ، نَظَرُوا إِلَى صَلَاتِهِ، وَإِلَى سَمْتِهِ، وَإِلَى هَيْئَتِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُونَ عَنْهُ». [١٥٢]

قال ابن المبارك وقد أراد سفراً فسُئل: إلى أين؟ قال: إلى البصرة ، قالوا: إلى منزلٍ من في البصرة؟ قال: إلى ابن عَون، آخذ من أخلاقِه وأدبِه. [١٥٣]

وقال الأوزاعيُّ : كنّا نضحك ونمزح، فلمّا صِرْنا يُقتدى بنا، خَشِينَا ألا يسعَنا التبسُّم. [١٥٤]

أي أنَّ الواحد منهم كان قبل أن يتصدَّر يجالسُ إخوانَه، فلمّا صِارْوا يُنظَرُ إليهم ، خَشِوا أن يكون التبسُّم خارمًا لمروئتهم.

وانظر إلى قاعدة ابن جماعة وهو يتحدَّثً عن المعلّم :

ولا يرضى من أفعاله الظاهرة والباطنة بالجائز منها، بل يأخذ نفسه بأحسنها وأكملها فإن العلماء هم القدوة وإليهم المرجع في الأحكام وهم حجة الله تعالى على العوام وقد يراقبهم للأخذ عنهم من لا ينظرون، ويقتدي بهديهم من لا يعلمون ، وإذا لم ينتفع العالم بعلمه فغيره أبعد عن الانتفاع به . [١٥٥]

قال المصنِّف: "ويَنبغي تَعاهُد محفوظاتِ المتعلِّمين ومعلوماتهم بالإعادة والامتحان، والحثِّ على المذاكرة والمراجعة وتكرار الدرس، فإن التعلُّم بمنزلة الأرض، والدرس والمذاكرة والإعادة بمنزلة السُّقي لها، تُتَعَهَّد المتحفَّظ وتُكرَّر لِيَثبُت".

لا بد وأن نفرِّق بين الحفظ والمحفوظ:

فالحفظ يُحسنه كل أحد، الحفظ يَحصُله كلُّ أحد، إنما "المحفوظ" : أي تعاهُد ما تم حفظه ، فهذا يضيعه كثير من الطلاب .

---

[١٥٢] انظر: سنن الدارمي(٤٣٥) ، إسناده صحيح.
[١٥٣] انظر: صفة الصفوة(٢/ ١٨٤).
[١٥٤] انظر: حلية الأولياء(١٥٤/٦)
[١٥٥] انظر: تذكرة السامع والمتكلم(ص/٣١)

والمصنِّف يُؤكِّد على هذا المعنى، بقوله :"ويَنبغي تَعاهُد المحفوظات والمعلومات والحث على..."،

فكم ضاعت من علومٍ ومتونٍ من حِفظ الطالب لمَّا لم يتعاهد ذلك .

فهذا الذي يحفظ متنًا مثلًا من ألفيَّة أو ما شابه ذلك، حَفِظَها ولكن لم يتعاهد، تراها تذهب إلى غير عَودة.

وكان من سُنَّة السَّلف تعاهُد المحفوظات ، الشيخ السعدي رحمه الله صاحب الرسالة، في كل يوم بعد الفجر، يُراجِع القرآن والمتون في جلسة ثابتة لأربعين سنة.

مسألة تَعاهُد المحفوظات من الكتاب والسُّنَّة ورد لها أدلة :

عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ:

(إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ صَاحِبِ الْإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ: إِنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ).

[صحيح البخاري (٥٠٣١)، ومسلم (٧٨٩)].

الشاهد: قوله صلى الله عليه وسلم :

وإن أطلقها ذهبت، لأن هذا القرآن ضيف عزيز ، و(وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ)، وعِزَّة القرآن في أنه لا يَثبُت إلا عند من يَعرف قدره.

أرأيتم ضيفًا عزيزًا إذا أتاك إلى بيتك فلم تحسن ضيافتُه ،هل سيبقي؟ وكذلك العلم والقرآن: ضيفٌ عزيز، فإن لم تُحسن ضيافته رَحَل.

قال ابن عبد البر تعليقًا على حديث صاحب الإبل:

في الحديث دلالة على أن المرء إن لم يتعاهد علمًا ذهب عنه، أيًّا ما كان.

نقول:

فإذا كان هذا القرآن الذي أَخبَر به من أنزله {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} وإذا كان مع تَيسيره هكذا يَتفلَّت، أشدَّ تَفَلُّتًا من الإبل، فكيف بغيره من العلوم؟!

فالشاهد من ذلك:

أهمية مسألة المعاهدة والمراجعة، تعاهد العلم كما تتعاهد القلب ، فليست العبرة بما درسته، إنما العبرة بما أتقنته ، فأعِدْ ما تدرسه وكرِّره ،

فإن كثرت عليك الدروس، فالقاعدة هنا:

"قلِّل المأخوذ، وأَحكِم المدروس".

ثم قال المصنف:

وكما أن على المتعلم توقير معلِّمه، فكذلك أقرانه في التعلُّم، عليه توقيرهم واحترامهم.

الصحبة في طلب العلم تجمع حقوقًا كثيرة، والكلام عن حقوق الأقران في العلم مهمٌّ جدًا.

ومن ذلك : الحبُّ في الله، وأن يسعى كلُّ طالب إلى أن ينفع صاحبَه.

فلا يليق بطالب العلم أن يكتم علمًا تعلَّمه عن صاحبِه، لكي يستأثر به هو فقط، هذا من سُوء الخُلق، أن تكتم علمًا تعلَّمتَه عن قرينٍ لك، خَشية أن يتعلَّمه، وتكون أنت لست المنفرد به.

كذلك أيضًا، ممَّا يجدر أن نُنبِّه عليه بين الطلَّاب: مسألة الحسد، وهذا أمرٌ وارد.

الحسد... يقول شيخ الإسلام: "ما خَلا جسدٌ من حسد، ولكن الكريم يُخفيه، واللَّئيم يُبديه."

فالحسد شيءٌ مركوزٌ في الجِبِلَّة البشريَّة، من طبائع البشر، ولكن المرء يُجاهِد نفسَه في دفع هذا الحسد.

فإنَّ الحاسد لقرينه على علمٍ ـ مثلًا ـ تعلَّمه هذا بلسان الحال يعترض على قَدَر الله، قال تعالى

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّـهُ مِن فَضْلِهِ} [سورة النساء:٥٤].

فهذا كان من شِيَم اليهود، {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ}، حَسَدوا النبي صلى الله عليه وسلم أنِ اصطفاه الله عليهم، من العرب، وليس من بيتهم، فنزلت فيهم:

{أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّـهُ مِن فَضْلِهِ} [سورة النساء:٥٤]، فهذا سؤالٌ في سياق صيغة الإنكار عليهم.

وكذلك يُقال أيضًا:

الحاسد لقرينه أن قدَّمه الله، أو علَّمه الله، هو معْتَرِضُ على قِسْمَةِ اللهِ ،

قال الله تعالى:

{وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ} [سورة الزخرف: ٣١].

قد يأتيك النَّزغ من الشيطان بأن تحْسدَ أخاك على علمٍ تَعَلَّمَهُ، أو فقهٍ تَفَقَّهَهُ، فَعَلَيْكَ أن تدعو له كثيرًا، فهذا من الأمور التي تُذْهِبُ الحَسَدَ عن قلبك.

تدعو له بالتوفيق والسداد، تدعو له بالرشاد، تُجَاهِدُ نفسك بالدعاء، أن يُطْهِرَهُ اللهُ، أن يُذْهِبَ اللهُ عنك هذا الأمر.

فهذا لا شك أنه من الآفات العظيمة في طالب العلم، والمرء، كما ذكرنا، يُجَاهِدُ نفسه ويعلم قول الله تعالى:

{ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام: ١٢٤].

فلو نظرتَ إلى هذه الآية، لعلمتَ حكمة الله تعالى، وعلمتَ أن اللهَ تبارك وتعالى ما علَّمَ فلانًا وما قدَّمَهُ عليك إلا لحِكْمَةٍ أرادها، فـ {ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ}.

ومن النفع في ذلك، أن تنظر في سِيَرِ العلماء، فترى كيف وَقَعَ بينهم الحسد، فكانت عاقبة الحاسد خسراً.

مثل ما وقع بين الإمام البخاري ومحمد بن يحيى الذُّهَلِي.

فالبخاري -رحمه الله- كان ذا مكانة عظيمة، وكان الذُّهَلِي يُثْنِي عليه ويُقَدِّمُهُ، فلما أُشِيعَ الخبر أن البخاري سيأتي من "بخارى" إلى "نَيْسَابُور" ليُعْقِدَ المجالس، فَرِحَ بذلك الإمام الذُّهَلِي، ودعا له وأثنى عليه، وذكره بكل جميل.

لكن، لما جاء البخاري، عَقَدَ المجالسَ، وازدَحَمَ الناسُ على حضورها، حتى جلسوا على الأسطُحِ ليسمعوا منه، واستقبلوه على بعد أميالٍ من نَيْسَابُور.

فلما عقد المجالس، انْقَصَمَ الناسُ عن مجالس محمد بن يحيى الذُّهَلِي، وفضلوا مجلس البخاري، فوقع في نفس الذهلي ما وقع.

وفي أحد المجالس، أتى أحد الطلاب -بسوء نية- فَسَأَلَ البخاري:

ما حكم قول القائل: "لفظي بالقرآن مخلوق؟"فأعرض البخاري، فلم يُجِب.

فأعاد السائل السؤال، فتعرّض له، وفي الثالثة أعاد، فقال له البخاري:

"القرآنُ كلامُ اللهِ، غيرُ مخلوق، وأفعالُ العبادِ مخلوقة، وألفاظُهُم من أفعالِهم، والامتحانُ بها بدعة".

أي أن اختبارَ العالم بهذه المسائل هو من البدع، لأن العالم ليس معصومًا، قد يُخطئ، ولا يُثْرَب عليه، ولا يُذَمّ بها.

والقاعدة عند أهل العلم: أن اختبار العالم بمسألةٍ لإسقاطه، بدعةٌ من القول، لأنه ما من عالم إلا وله زَلَّة.

وقد قالوا: "إذا بلغ الماءُ قُلَّتَيْنِ لم يحمل الخَبَث"، فالبخاري قال كلامًا مفصَّلًا، فيه تفصيل شرعي، فقال:

"القرآن كلام الله غير مخلوق، وأفعال العباد مخلوقة".

لكنَّ الناس طاروا بهذه الكلمة، وقالوا إن البخاري يقول باللَّفْظِيَّة، وهذا كذبٌ عليه.

وكان الإمام أحمد بن حنبل -رحمه الله- ينهى عن مسألة اللفظ، يريد سد الذرائع، لأن الفتنة كانت مشتعلة، فلم يكن يريد أن يفتح هذا الباب، فكان يقول:

"اللفظية جهمية"، لا لأنه يُنكِر التفصيل، ولكن يُريد إغلاق الباب أمام الجهال، الذين يختبرون العلماء.

وقد أجمل السبكي محصِّل ما وقع من الذهلى للإمام البخاري فقال:
" دع خرافات المؤرِّخين، واضرب صفحاً عن تمويهات الضَّالِّين،وكيف يَّظن بالبخاري أنه يذهب إلى شيء في أقوال المعتزلة ، ولا يرتاب المنصف فى أنَّ محمد بن يحيى الذهلى لحقته آفة الحسد التي لم يسلم منها إلَّا أهل العصمة ".[١٥٦]
قال البخاري : كم يعتري محمد بن يحيى الحسدُ في العلم، والعلم رزق الله تعالى يعطيه من يشاء .[١٥٧]

مثالٌ آخرُ لما كان بين الأقران:

المَعْمَري، وهو الحسن بن علي البغدادي، حافظ ثقة ، كان له رفيقان من أقرانه، هما: فضلك الرازي، وجعفر الجُنَيْد .

فكان المَعْمَري إذا عَرَفَ حديثَاً فسألاه عنه،لا يجيبهما ، فحسداه ، وقالا عنه :" كذَّاب"

هنا نُفَرِّقُ بين مسألتين:

مسألة الحسد، الغِبطةُ والغيرة:

وأما مسألة الحسد : فهذه مذمومةٌ بكلِّ حال، كما ذكرنا، وهذه من صفات اليهود: {أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ} [النساء:٥٤].

---

١٥٦ انظر :طبقات الشافعية (٢/٢٣٠)
١٥٧ انظر :سير أعلام النبلاء(٤٥٦/١٢)

فالمؤمنُ الذي حازَ علمًا، لا يليقُ بهذا العلمِ العزيز الذي يَحمِله أن يكون في صدره حسدٌ لأخيه.

أما الغِبطةُ والغيرة:

إذا وجدتَ علمًا عند قرينِك الذي سبقك، أو حتى كان مُساويًا لك في الطلب، فَغِرْ من ذلك لأنك لم تتعلم هذا العلم، هذه غَيْرةٌ محمودة ،

وغِبطةٌ محمودة، تتمنى فيها أن تُرزق العلم الذي رأيته عند غيرك ،دون أن تتمنى زواله منه.

قال حماد بن أسامة:إني لأغارُ على الحديثِ كما يُغارُ على الجاريةِ الحسناء.[158]

ثم قال المُصَنِّف: ولهذا ينبغي ألا يدعَ مُمْكنًا يقدر عليه من نفعٍ، ما يقدر على نفعه منهم، من تعليمِه ما يَجهل،والبحث معه، والتعاون على الخير، وإرشاده.

وينبغي أن يكون اجتماعُهم في كلِّ وقتٍ غنيمةً، يتعلّم فيها القاصرُ ممن هو أعلى منه.

دائمًا أحسِنِ الظنَّ بربك، أنك إذا علمتَ غيرك، فهذه زكاة العلم، فإن زكاةُ العلمِ إنفاقُهُ وتعليمه، فهذا تثبيتٌ للعلم، أن تُعَلِّم غيرك، وقد كان أحدُ السلف من أهل الحديث، يحفظُ الكثيرَ والكثير، لا يجدُ له قرينًا، فكان يقوم الليل، فيُوقِف الجارية، جاريةً لا تعلم إلا الفاتحة لا تعرف شيئًا، ولكن لا يجد مَن يسمع!

ومما ورد في سُنَّةِ المُذاكرة بين الطلاب، قول عمر رضي الله عنه للصحابة رضي الله عنه: "أيُّكم يحفظ حديثَ الفتنة؟"

أيضًا من صور المُذاكرة بين العلماء:

---

[158] أخرجه الخطيب في "الجامع" (٢/٢٣١)

قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : لما قدم أبو زرعة نزل عند أبى ، فكان كثير المذاكرة له ، وسمعت أبى يوما يقول: ما صليت غير الفرض، استأثرت بمذاكرة أبى زرعة على نوافلي.[١٥٩]

كذلك نقول:

أنَّ كلّ ما يُنقَل عما يحفظه البخاري وأحمد، وغيرهما من أحاديث فهو دلائل المُذاكرة بين العلماء، لأنه لا يُعرَفُ مثلُ هذه المحفوظات إلا بالمُذاكرة.

قال عبد الله بن أحمد:

قال لي أبو ذُرَاعَة: "أبوك يحفظ ألفَ ألفِ حديثٍ"، قلت له: "ومَا يُدريك؟"، قال: "ذاكرتُه، فأخذتُ عليه الأبواب".[١٦٠]

قال الذهبي:

فهذه حكاية صحيحة في سعة علم أبي عبد الله، وكانوا يعدون في ذلك المكرر، والأثر، وفتوى التابعي، وما فسر، ونحو ذلك ،وإلا فالمتون المرفوعة القوية لا تبلغ عشر معشار ذلك.

وهذا الأثرُ فيه فائدتان:

الفائدة الأولى: سُنّةُ المُذاكرةِ بين الأقران، كما ذكرنا القاعدة: كلُّ ما يُعرَفُ أن فلانًا يحفظ كذا وكذا، فهو دليلٌ على المُذاكرة.

الفائدة الثانية: أنهم كانوا يَذكرون الأحاديثَ مُبَوَّبَة ، باب الطهارة، باب الصلاة، باب الصيام، باب الزكاة.

ثم قال المصنف:

---

[١٥٩] انظر: طبقات الحنابلة(١/١٩٩)
[١٦٠] انظر: سير أعلام النبلاء(١١/١٨٧)

اعلَمْ أن القَناعةَ باليَسيرِ من الرِّزقِ، والاقتصادَ في أمرِ المعيشةِ، مَطلوبٌ من كلِّ أحد، لا سيما المُشتغلون بالعلم، فإنّه كالمتعين عليهم ؛ لأنّ العلمَ وظيفةُ العُمر، فمتى زاحمته الأشغال الدنيوية حصل النقص بسبب ذلك.

فالتحقيقُ لهذه المعادلة من الأمورِ المُهِمّة، تحقيقُ المعادلةِ والموازنةِ بين مشاغلِ الحياةِ الدنيا، وبين طلب العلم

إنّ طالبَ العلم لا ينبغي له أن يترُكُ أمرَ معاشِه بالكليّة، فيتكفّفُ الناس، ويجعلَ رأسَ مالِه صَدَقاتٍ يأخذُها من الناس، فتكونَ يدُه هي السُّفلى، وهذا لا يرضاه طالبُ العلم؛ لأن همتَه عالية.

وأيضًا في الجانبِ الآخر، لا ينكَبُّ على الحياةِ الدنيا، لا هذا ولا ذاك، بل تحقيقُ المُوازنةِ بين الأمرين ، وهذه المعادلةُ والموازنةُ تتضحُ من قولِ الناصحين لقارون:

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا} [القصص:٧٧].

{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ}، هذا سَعْيُك، وهذه صَدْقُ قضيّتك في طلبِ العلم وتحصيلِ العِلم الشرعي. {وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا}، فهذا هو الميزان، هذه المعادلة، هذا هو الأمرُ المُهِم.

يعني: أجملُ ما يكونُ حين تقرأُ في قصةِ طالوتَ وجالوت، لما مرّوا على النهر، هذا النهر مثالٌ حيٌّ لهذه الحياةِ الدنيا، لما قال: إنّ الله مُبتليكم بنهرٍ، الدنيا بلاءٌ واختبار، {فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِ} [البقرة:٢٥٩].

هكذا الأمرُ؛ من الناسِ مَن غرقوا في نهرِ الحياةِ، وماتتْ عقولُهم، وصارتِ الدنيا هي رأسَ مالِهم، ينامون عليها ويقومون عليها، فغرقوا حقًّا وماتوا من حيث لا يَدرون. {إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِ}، فهذه من دلائلِ المُوازنةِ بين أمرِ الحياةِ الدنيا، وبين أمرِ طلبِ العلم.

نعود فنقول: إنّ فقهَ المُوازنةِ بين الدّارَين يحتاجُ إلى أن تستخرجَ سِيَرَ السّابقين، كيف أداروا وأحسنوا إدارةَ هذه المُوازنة بين العلمِ والعمل. العلمُ أي: طلبُ العلم، والعملُ أي: طلبُ المعايش.

البعض قد يفهمُ القضيّةَ على فهمٍ خاطئ؛ يُريد أن يبدأ من حيثُ انتهى الآخرون.

يرى شيخًا قد تفرّغَ، فيُريد أن يكونَ مثلَه، ولكن أنت لا تعلم أن هذا الشيخَ بدأ بالموازنةِ بين الأمرين، فلما رأى اللهُ منه الصدقَ، اطّلعَ اللهُ على قلبِه، فاختارَه لرسالته. {ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَٰلَتَهُۥ}

فلابد أن تسلكَ السُّلَّم من أوّلِه، واعلَمْ أن الله شكورٌ بصير، يَشكر سَعْيَك وحِرصَك على الطلب. ومن شُكرِه لك: أنه كما ذكرنا، إذا رأى منك إقبالًا وفهمًا وصدقًا، صيَّرَ حياتَك كلّها له، لأنه بصيرٌ حكيمٌ شَكور، {إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِى قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ} [الأنفال:٧٠].

فإذا أردتَ اللهَ، أرادَكَ الله.

انظر إلى الحديث في قولِه صلى الله عليه وسلم: 《من كانتِ الآخرةُ همَّه، جعل اللهُ غِناه في قلبِه، وجمعَ له شَملَه، وأتتْه الدنيا وهي راغمة》 [رواه الترمذي (٢٤٦٥) وصححه الألباني].

والآخرةُ تَشملُ كلَّ ما يُرضي اللهَ تبارك وتعالى، من أمرِ طالبِ العلم، من أمرِ عبادتِه.

《ومن كانت الآخرة همّه، جعل الله غِناه في قلبه، وجمع له شَمله، وأتته الدنيا وهي راغمة》 ، يأخذ منها فقط ما يكفيه، ولكنها أَبَتْ إلا أن تسيرَ خلفه.

والعَجَبُ في ذلك: أنك ترى أُناسًا يسعَون إلى الدنيا، وهي تَفِرُّ منهم.

فإذا حققّتَ هذه المعادلة، ورأى اللهُ منك الصدقَ، كما ذكَرْنا: "اتركِ الدنيا وهي راغمةٌ"، ومن اللهِ عليكَ بما وبمن يكفيك همَّ دنياك.

فترى نفسك قد انشغلتَ بالله ولله تبارك وتعالى، وعندها ترى أنَّ الأمرَ ــــ أي: أمرَكَ ــــ قد تحقق. لأنَّ السعيَ، يا جماعة، في أمورِ الدنيا وطلبِ المعيشة، ليس غايةً، وإنما هو وسيلةٌ، وسيلةٌ لتحقيقِ الكفاية، فإنْ تحققتْ الكفايةُ بلا سعيٍ، فهذا يكفيك، مالك ساعٍ.

***مسألة مهمة:**

: الكَسْبُ في طلبِ المعايش، هل هو غايةٌ أم وسيلةٌ؟ هو وسيلةٌ لتحقيقِ الكفاية، فإنْ مَنَّ اللهُ عليك بمن يكفيك، لا تحتاج إلى أن تعمل، لأن السعي، كما ذكرنا، هو مجرَّد وسيلةٍ وليس غايةً لذاته. وسيلة. فإنْ مَنَّ اللهُ عليك بمن يكفيك ذلك، كما ذكرنا، فالعِلَّة في الحكم أنك لا تجلس لتكون محلاً للصدقة.

طيب، فإنْ سَعَيْتَ، ولكنْ أتاك من يكفيك، فذلك يكفيك، وقد تحققَتْ لك الكفايةُ في ذلك. وهنا يُقال:

طالما الأمر، فليس واجبًا عليك أن تعمل في أمر المعايش. طيّب، استعنْ بالله، في حُسن التوكُّل على الله تبارك وتعالى، وأبدعْ في الصدقِ مع الله تبارك وتعالى، ولا تعجز. أي: لا تترك الأسباب، بل خُذْ بها.

هذه كانت طريقة الصحابة، رضي الله عنهم.

فلو سألْتَ: كيف كان هَدْيُ صحابةِ النبيِّ صلى الله عليه وسلم؟

كانوا يعملون. ما جلسوا في المساجد يطلبون الصدقات ويتكفّفون الناس، لا، بل كان عمرُ الفاروق رضي الله عنه، له صاحبٌ، ينزل عمرُ إلى النبيِّ صلى الله عليه وسلم يومًا، يسمع منه ما جَدَّ من الوحي، وفي اليوم الثاني يعمل، وصاحبُه ينزل إلى السُّلَّم (أي: إلى مجلس النبيّ)، فإذا أتى، أخبر عمرَ بما جدَّ من الأحاديث.

أيضًا، أبو هريرة رضي الله عنه، يحكي عن سُنَن الصحابة، فقال:

"كان المهاجرون يشغلهم الصَّفْقُ بالأسواق"، صَفْقَة. طيّب، سُمّيت صفقة لأنه إذا تمّتِ البيعةُ، يعني كل رجلٍ يصفق بالإعلان عنها. فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿المهاجرون كان يشغلهم الصَّفْقُ في الأسواق، وكان الأنصارُ قائمين على أموالهم﴾

. [صحيح البخاري]

يعني: هذا يتاجرُ بالمال، وهذا يبيع، ويُشاهَد من ذلك: أنهم كانوا يعملون. أيضًا، تقول عائشة رضي الله عنها، كما في صحيح البخاري: "كان أصحابُ النبيِّ صلى الله عليه وسلم عُمّالَ أنفسِهم"، عُمّالَ أنفسهم، أي: يسعون لكفايةِ أمرِ معيشتهم.

لكن نقول: إنِ احتاج الطالبُ إلى العملِ لكفايةِ نفسه، فلا يجعل هذا العمل طاغيًا على وقته، فلا يجعل هذا العمل طاغيًا على وقته، بل يأخذ منه ما يكفيه، ويكفي حاجته. فبإمكانه أن يقسم أوقاتَه، يأخذ ما يكفيه.

ولا يخفى عليكم، كان الشيخ الألباني رحمه الله عليه، يعمل في الساعات، تصليح الساعات، يعني: يأتي، يفتح الدكان، فإذا أصلح للناس ساعةً أو ساعتين أو ثلاثًا، وأخذ ما يكفيه، ويكفي أهله، أغلق وذهب إلى المكتبة التي يقرأ فيها، ويَنسخ فيها، ويُراجِع فيها. فكان عمله عملاً حرًّا.

ومن نِعَم طلبِ العلم أنه إذا عمل، لا يعمل وقتًا محددًا، يعني: ليس كموظفٍ له دوام. بل هو عملٌ حرٌّ، يصلح ساعةً وساعتين وثلاث ساعات، فيأخذ الأجرَ الذي يكفي قوتَه وقوتَ أهله، فإذا اكتفَى، أغلقَ ذلك الدكان، وذهب إلى المكتبة. هو ذا.

إنِ احتجتَ إلى العمل، فلا تجعل هذا الوقتَ الذي تعمل فيه طاغيًا على وقتك، وعلى يومك، فيضيع تحصيلك للعلم.

لذلك، من توفيق الله للطالب، أنه إذا عمل عملاً، أن يكون هذا العمل عملاً ليس له وقتٌ محددٌ بالعشرِ ساعات، كما ترى، فهذه مضيعةٌ.

لذلك، يقول الشيخ الألباني رحمه الله عليه:

"أعطيتُ للعمل من وقتي ثلاث ساعاتٍ"، قال هذا عن عمله ـــ ما ذكرنا ـــ في تصليح الساعات، وهي مهنةٌ اكتسبها من أبيه، قال:

"أعطيتُ لها ـــ أي: لهذه المهنة ـــ من وقتي ثلاث ساعات". قال: "وهذا القدر كان يكفيني في الحصول على القوتِ الضروريِّ لي ولأطفالي"، قال: "على طريقة الكفاف".

فإن من كل هذا ـــ بنص كلامه رحمه الله عليه ـــ أنه قال: "على طريقة الكفاف"، فإن هذا هو دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، إذ قال: 《اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا》 [صحيح مسلم]. أي: ما يسدُّ الرَّمقَ، ويُحقِّق الكفاية.

ما يَسُدُّ الرَّمَقَ ويُحقِّقُ الكِفاية؛ لذلك نقول: إنَّه من الأمرِ المؤسفِ سوءُ تنظيمِ الوقتِ عندَ الطالب؛ لا يُدرِكُ أهميةَ الوقت، ومن تناقُضِه أنَّه يُضيِّعُ الساعاتِ في لا شيء! ترى من سوءِ تنظيمِ الوقت أنَّه يَضيعُ ساعاتٍ لا شيء، يعني: لا فائدةَ منها.

ختامُ هذه المسألة: "أَصْدق اللهُ يُصْدقك". وعندنا الحديثُ الذي لا يَخفى على حضراتكم، عن الرجلِ الذي مات كما يُريد، لأنَّه عاش كما أراد الله. كان صادقًا مع الله تعال تاتيك الدنيا وهي راغِمَةٌ.

ومن حَمَلَ هَمَّ الدين، وكان صادقًا من قلبه، نزلت وتحقَّقت فيه الآية:

{يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ ٱلْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [سورة الأنفال:٧٠].

فإنْ كان في القلبِ صِدقٌ ـــ لا بالتجربة ـــ فبهدايتِه وتوفيقِه، سَيَكفيكَ كلَّ هَمٍّ، ولكن فقط: كُنْ صادقًا! كُنْ في وَعدِ الله! لا تُعامِلْ ربَّك بالتجربة!

أبو هريرة، وما أَدْراكم ما أبو هريرة؟! كان ـــ من شِدَّةِ الجوع ـــ كما قال عن نفسه، وحكى عن حاله، يعمد بكَبِدِه إلى الأرض، وكان يُغشى عليه

من شدة الجوع، وكان يقف وينتظر عند الرُّكْنِ ــــ أي: عند الزاوية التي يمرُّ منها الناس ــــ لعلَّه يُعطى شيئًا.

ثم تزوَّج أبو هريرة من بُشرى بنت غَزوان، وكانت امرأةً ذاتَ مالٍ، وكانَتْ تعملُ في التجارة، فصار أبو هريرة بعد ذلك من أصحابِ الأموال. أتته الدنيا وهي راغِمَةٌ!

قال المُصنِّف:

"ومن آدابِ العالِمِ والمُتعلِّم: النُّصْحُ، وبَثُّ العلومِ النافعةِ بِحَسَبِ الإمكان، حتى لو تَعلَّم الإنسانُ مسألةً واحدةً، وبَثَّها، كان بذلك من بركةِ العلم،

لأنَّ من ثمراتِ العلم أن يأخُذَهُ الناسُ عنك، فمَنْ شاءَ بعِلمِه ما فَعَلَهُ بموته، رُبَّما نَسِيَهُ وهو حيٌّ".

كما أنَّ مَن بَثَّ علمَه، كانت له حياةٌ ثانيةٌ، ، وحِفظًا لما عَلِم، وجَزَاهُ اللهُ بِحَسَبِهِ.

تَعلَّمْتَ مسألةً، مسألتين، ثلاثًا... هذا العلم ينبغي أن تنشره؛ فإنَّ أحدَ أهمِّ الأمورِ المُثبِّتةِ لما تعلَّمْتَ: أن تنشر هذا العلم.

فنشرُ العلم لا يُقَلِّله، بل يُزيدُه بركةً، كما أنَّ المالَ لا يَنقُصُ بالصَّدَقة، فالعلمُ كذلك لا يَنقُصُ بالتعليم والإنفاق، بل يزداد.

والصادقُ المَصدوقُ، أقسم أنَّ المالَ لا يَنقُص، وكذا يقال في انفاق العلم

قال ابن حزم:

الباخل بِالْعلمِ ألأم من الباخل بِالْمَالِ لِأَن الباخل بِالْمَالِ أشْفق من فنَاء مَا بِيَدِهِ والباخل بِالْعلمِ بخل بِمَا لَا يفنى على النَّفَقَة وَلَا يُفَارِقهُ مَعَ الْبَذْل.[١٦١]

---

[١٦١] انظر: الأخلاق والسير في مداواة النفوس(ص/٣٣)

قال ابن المبارك :

من بخل بالعلم ابتلي بثلاث، إما موت فيذهب علمه، وإما ينسى، وإما يصحب فيذهب علمه ، أو يبتلى بالسلطان ".[١٦٢]

قال ابنُ حِبَّان:

وإذا رزق من العلم الحظ لا يبخل بالإفادة ، لأنَّ أول بركة العلم الإفادة ،

وما رأيت أحداً قط بخل بالعلم إلا لم ينتفع بعلمه ، وكما لا ينتفع بالماء الساكن تحت الأرض مَا لم ينبع ولا بالذهب الأحمر مَا لم يستخرج من معدنه ولا باللؤلؤ النفيس مَا لم يخرج من بحره كذلك لا ينتفع بالعلم مَا دام مكنوناً لا ينشر ولا يفاد .[١٦٣]

إنَّ نشر العلم حياةٌ لك بعد الحياة، فمن الناس من يعيش في هذه الدنيا ويموت، فتنتهي حياتُه عند أجله، أمَّا طالب العلم الباذل له، فإنَّ نشره للعلم حياةٌ له بعد وفاته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:

《إذا مات ابنُ آدمَ انقطع عملُهُ إلا من ثلاث: صدقةٍ جاريةٍ، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالحٍ يدعو له》 [رواه مسلم].

ثم قال المصنِّف:

"ومن أهمِّ ما يتعيَّن: السعيُ في جمع كلمةِ المعلِّمين والمتعلِّمين، وتأليف القلوب على ذلك، وحسم مادةِ الشرِّ والعداوة والبغضاء بينهم".

ولا نحتاج إلى أن نتكلَّم فيه كثيرًا في هذه الأوقات، فقد بات واضحًا أنَّ نشر الألفة بين المسلمين، وبين علمائهم، وبين طلاب العلم؛ أمرٌ نحتاج إليه، ونحتاج إلى التأكيد عليه في زمنٍ نرى فيه مَن يسعى في البغضاء ونشر العداوة بين العلماء.

---

[١٦٢] انظر: حلية الأولياء(١٦٥/٨)

[١٦٣] انظر: روضة العقلاء ونزهة الفضلاء(ص/٤٠)

والعلَّة ليست في العلماء أنفسهم، فلهم من القلوب الصافية ما الله به عليم، ولكن العلَّة في نفرٍ من الصفِّ الثاني، مِمَّن يتناقل الكلام ،ليكون له حظوة عند شيخه ، فيتناقل الكلام ويزيد عليه -عياذًا بالله- كذبًا يُحرِّكه الشيطان، فيزيد على الصدق الواحد ألف كذبةً، ويُبالغ في نشر العداوة والبغضاء بين العلماء، فيُؤجِّج الفتن، ويُطلق الكلام لإحداث الفُرقة والبغضاء.

ومن أعظم ما يُفسد القلوب بين الطلاب ومشايخهم: تناقل الكلام.

فينبغي للمرء أن يُمسك لسانه، فإن الكلمة الواحدة قد تكون صادقة، ولكن الناقل يزيد عليها مئة كلمة، فتفسد القلوب، ويقع الفساد في ذات البين.

فبئس طالب العلم إن كان من أهل "القال والقيل".

وقد ورد في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

﴿**ألا أُنبئُكم ما العَضْه؟ هي النميمة، القالة بين الناس**﴾ [رواه مسلم].

فإذا كان هذا في عامة الناس، فكيف بين طلاب العلم؟! وكيف حين تُلقى الكلمة إلى الشيخ عن طالبٍ أو شيخٍ آخر؟!

قد يكون بعض الطلاب عنده مرض في قلبه، يريد حظوةً عند شيخه، فيظن أن هذه المكانة لا تُنال إلا إذا نقل له:

"فلان قال عنك كذا، وفلان يسبّك في كذا، وفلان يذمّك في كذا"...

هذا الطالب في الحقيقة: مريض قلب، ليس طالب علم، بل هو طالب سوء، وطالب فتنة.

يريد أن يُرضي شيخه بنقل كلام يُفسد به ما بينه وبين الآخرين، وهذا من أبشع الصفات، قال تعالى(وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ١٠ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ)

"الزيادة في المبنى زيادة في المعنى"، فلم يكن "ماشيًا بالنميمة"، بل صار "مَشَّاءً بنميم"، أي: النميمة صارت له طبعًا وجِبِلَّة.

وفي حديث القبر المشهور، قال النبي صلى الله عليه وسلم عن اثنين يُعذَّبان في قبريهما:

﴿أمّا أحدُهما فكان لا يستنزِهُ من بوله، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة﴾ [رواه البخاري ومسلم].

فنقول: إنَّ من أعظم أسباب الفتنة في زماننا، ووقوع المعارك والمخاصمات – حتى في مواقع التواصل – هو تناقل الكلام،

. فكم من حروبٍ أصلها وأساسها كلمةٌ نُقِلت، لذلك فهذا مِن إفساد ذات البين. فإذا كان هذا أمرًا محرَّمًا بين عامَّة الناس، فكيف بين العلماء؟!

هذه هي «إفساد ذات البين» التي سمَّاها النبيُّ صلى الله عليه وسلم "الحالقة"، لا تحلق الشعر! يا ليتها تحلق، لأن الشعر يعود، أما هناك أمورٌ لا تعود، كسَلامة القلب ، فهذا القلب إذا نُقِل إليه كلامٌ من شخصٍ عن شخصٍ عن شخصٍ، فهذه تُسمَّى: "سلسلة الحطب" التي تُوقِد الفتنة بين القُلوب!

لذلك، المخرج من ذلك كلِّه عبادةٌ من أعظم العبادات، ألا وهي: إحسان الظن، أن تُحسِن الظنَّ بأخيك، أن تُحسِن الظنَّ بكلمةٍ تأتيك ، فتحملها على أحسن المحامل، وأن تلتمس لأخيك سبعين عذرًا.

هناك حديثٌ مشهور، لكنه لا يصح: "التمس لأخيك سبعين عذرًا"، هذا لا أصل له.

وإنما روى أبو داود بسندٍ صحيح أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم سُئل: كم نعفو عن الخادم؟ قال صلى الله عليه وسلم: ﴿اعفُ عنه في كل يوم سبعين مرة ".[١٦٤]

هذا الذي صحَّ في هذا الباب.

---

[١٦٤] رواه أبو داود(٥١٦٤) ، وصححه الألباني.

فالشاهد من ذلك: أن المعنى صحيح؛ أن تُحسِن الظنَّ بأخيك .

قال عمر بن الخطاب: "لا تظُنَّ بكلمةٍ صدرت من أخيك شرًّا، وأنت تجد لها في الخير محملًا".[165]

وقد رأينا حديث الرجل الذي لم يكن كثير الصيام أو كثير السلام، لكنه بُشِّر بالجنة وهو يسير على الأرض، لا لكثير طاعة، بل الأصلُ في هذا الأمر:أنه كان يَبيت، وليس في صدره أيُّ شيءٍ لأحدٍ من الناس.

فليس نشر الغل و الحقد بين أهل العلم من صفات المؤمنين، ولا من صفات أهل الجنة؛ قال تعالى:

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ} [سورة الحجر: ٤٧]،

وقال تعالى: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ} [سورة الأعراف: ٤٣].

وقال عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه:

"إنِّي لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممَّن قال الله تعالى فيهم: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ}".

ولا يخفى عليكم ما كان بينهم من الحروب والفتن، ومع ذلك يرجو لنفسه ولإخوانه الجنة، فهكذا تكون صفاء القلوب.

وقد ذكر الله عز وجل، بعد أن ذكر المهاجرين والأنصار، صفة التابعين لهم بإحسان إلى يوم القيامة، فقال:

{وَٱلَّذِينَ جَآءُوا مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟} [سورة الحشر: ١٠].

فلْيُلزِم الإنسانُ نفسَه هذه الدعوة دائمًا: {رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ}.

---

[165] أخرجه ابن عدي في (الكامل ٨/ ٤٧٩ / ترجمة يعقوب بن إسحاق الأنصاري)، والبيهقي في (شعب الإيمان ٦/ ٣٢٣ - ٣٢٤)، وابن حبان في (روضة العقلاء / ص ٩٠)، وفي سنده ضعف.

وإن وجد في قلبه شيئًا من الحسد، أو شيئًا من البغض، فليُجاهد نفسه، لقوله تعالى:

{وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا} [سورة العنكبوت: ٦٩].

فنسأل الله الكريم أن يرزقنا حبَّه.

اللهم ارزقنا حبَّك، وحبَّ مَن يُحبُّك، وحبَّ العمل الذي يُقرِّبنا إلى حُبِّك، وهَبْ لنا مِن لدُنك رحمة، إنك أنت الوهاب.

وصلى الله على النبيِّ، وعلى آله وصحبه وسلَّم.